التّصوّف وطريقة السـيد

أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي

" قُدّس سرّه "

المُتوفى سنة/٣٥٨/هـ، وقيل ٣٤٦

تأليف

الشيخ محمود سليمان رمضان

الكتاب : التَّصوّف وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

المؤلف: محمود سليمان رمضان

الطبعة: الأولى/٢٠١٢م

موافقة وزارة الإعلام رقم/١١٠٠٣٩/ تاريخ/٩/٥/٢٠١٢م

دار الأعراف

الناشر: دار أعراف

سورية – طرطوس

٠٩٥٥٥١٢٩٥٩-٣٥٦٥٨١

تقديم بقلم الدكتور يوسف حامد عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ والصلاة والسَّلام على سيدنا محمّد وآلِهِ وصحبهِ ومَنْ والاه، وبعد:

حضرة الأخ الفاضل الباحث الشيخ محمود سليمان رمضان المحترم: السلام عليكم وعلى من يواليكم ويُصافيكم ورحمةُ اللهِ وبركاته:

فقد قرأتُ كتابكَ القيّم (التصوّف وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قُدِّسَ سرّه)، وقد راقني أسلوبَكَ العذب، وحجتك القوية، وعناؤك الطويل، وبحثك المتواصل عن الحقيقة الجامعة لمجال التصوّف الذي تعود جذوره إلى عهد الرسالة وزمن الرسول (ﷺوآلهِ) بالنظر إلى اشتقاق التصوّف من الصوف أو أهل الصفّة والذي يهدف إلى الصفاء، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الحميدة كالمحبة والوفاء والزهد والسناء والخوف والترقب والرجاء...، ومن يتتبع منابع الطرق الصوفية يجدُ أنّها تشترك في مجموعة من القواسم المشتركة، وأهمها:

١- الزهدُ في الدنيا ومُتعها ولذائذها تقرُّباً إلى اللهِ تعالى، والاستعداد لولوج عالم الآخرة.

٢- الرياضة الروحيّة الشاقة القائمة على أعراف خاصة ومواجيد وأحوال لا يعرفها إلاَّ منْ عزف على لحن القوم، ولذا لا يُفرِّقُون بين النُعمى والبلوى، وهم سعداء في هذا الحال. قال أحدهم مُعبراً عن ذلك: نحنُ نعيشُ سعادةً لو عرفها

الملوك لحاربونا عليها.

٣- قال أكثرهم بوحدة الوجود والاتحاد والحلول مع تفاوت في الأخذ بهذا المصطلح أو ذاك.

٤- دأبوا على فناء النفس في الذات الإلهية والعشق الإلهي، ولذا تراهم يُحبّون العزلة والخلوة، ويجدون فيها منتهى السعادة والراحة، كما قالت المتصوفة رابعة العدوية:

راحتي يا إخوتي في خلوتي　　　وحبيبي دائماً في حضرتي

أينما اتجهتُ أشاهدُ حسنهُ　　　وهواه في البرايا محنتي

٥- اتسمت هذه الطرق بالشطح الصوفي عموماً، كما في قول أبو يزيد البسطامي: (ما في الجبّة إلاّ الله)، وقوله: (سبحاني ما أعظم شأني)، وقد أشار المؤلف إلى هذا الشطح في صفحاتٍ كثيرة من كتابهِ لاسيما في الصفحات - ٩٨- ١٠٤- ١٠٦- ١١٥- ١١٨- ١٤١-.

٦- كما تشترك هذهِ الطرق الصوفية بضرورة اختيار المرشد والسّيد الذي يلقّن علوم الطريقة وأسرارها وينقل المريد من حال إلى حال.

٧- وتشترك هذه الطرق الصوفية في أخذ العهد والميثاق المناسب على المريد، وضرورة أن يكون المريد مِطواعاً بين يدي سيده لا يخالفه برأي، ولا يسبقه بقول، فهو يتقلب بين يدي سيّده كالميت بين يدي غاسله كيفما يريد وكما يشاء.

٨- وتشترك هذه الطرق الصوفية في الأوراد والأذكار والأسرار التي تحتاج إلى الخلوة عند ممارسة شعائر الطريقة.

٩- وتشترك هذه الطرق في النظرة إلى وجوب التكامل بين علوم الشريعة وتعاليم الطريقة، فالطرق الصوفية جميعها هي عبارة عن أوراد وأذكار وآراء باطنية مرادها فهم حقيقة الشريعة الإسلامية، ومعرفة مداليلها، وفي أعرافهم أنَّ الطريقة لا يمكن أن تُلغي الشريعة ولا تنفي الشريعة الطريقة. فالطرق الصوفية كثيرة جداً الآن تصل إلى العشرات، وأصولها ترجع إلى إحدى عشرة طريقة منها عشرة تنتهي إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، وواحدة ترجع إلى أبي بكر الصديق(رضي الله عنه)، وقد ذكر المؤلف منها ما يزيد عن العشرين طريقةً وبعضها يتفرّع من الآخر، في حين أنَّ المذاهب الإسلامية خمسة (الجعفري والحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) وإذا أضفنا المذهب الزيدي تُصبح ستة مذاهب، فأحياناً تجدُ عند أَتباعِ مذهب ما عدداً من الطرق الصوفية ولا يتعارض ذلك مع تعاليم ذلك المذهب، لذا نستنتج أنَّ هذه الطرق الصوفية ليست بديلةً عن المذاهب الإسلامية، ويمكن القول: إنَّ هذه الطرق عبارة عن تأويلات في باطن مبادئ وأفكار الشريعة الإسلامية وفق أحكام وقواعد مذهب من المذاهب الإسلامية التي انتشرت في القرن الثاني الهجري وما بعده، وقد استقت أحكامها وقواعدها من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وإنَّ مقارنة هذهِ الطرق الصوفية وفق أصول الدراسات المقارنة مفيد جداً لأنَّهُ يفتح المجال ليطّلع كلٌّ فريق ما عند

الآخر، ويعرف أنَّ هذا الآخر حريصٌ كحرصهِ على حفظ تعاليم الإسلام وتطبيقها وفق تعاليم طريقتهِ ضمن قواعد مذهبهِ الإسلامي...وهذا يفتح الأبواب أمام الناس ليتواصلوا ويتآلفوا ويحترم بعضهم البعض الآخر بعيداً عن التكفير وسوء الظن بالآخر. وإننا على يقين أنَّ مثل هذا العمل شاقّ وعسير ويحتاج إلى جهد كبير لإجلاء الحقيقة نتيجة السرّية القائمة في هذهِ الطرق الصوفية من مختلف الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. وعلى أساس ذلك فالعنوان الذي اختاره فضيلة الأخ الباحث الشيخ محمود سليمان رمضان وهو (التصوّف وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّس سرّه) هو عنوان كبير جداً يصلح للأعمال الموسوعية في مجال الدراسات المقارنة. ونظراً لضيق الوقت وندرة المصادر والمراجع فقد اضطر الباحث لئن يهذّب ويشذّب ويختصر ما أمكن ليعطي صورة تقارن بغيرها بالنسبة إلى الطريقة الخصيبية مقارنة بباقي الطرق الصوفية، وقد وصل الاختصار الشديد أثناء كلامه عن بعض الطرق الصوفية بحيث لا تعطي الدراسة الثمار المطلوبة أثناء المقارنة لاسيما عند دراسة الطرق الصوفية الآتية:(الغزالية والمحاسبية والشاذلية والسهلية والمولوية والبكتاشية والتيجانية والسنوسية والمهدية والنورسية). على أنَّ دراسته في هذا المجال شمعة مضيئةٌ أمام باحثين جُددٍ، الذين يوصيهم الباحث في التوسع في دراسة هذهِ الطرق لتكتمل صورتها بعد توفير المزيد من المصادر والمراجع لأنَّ الثابت أنَّ الدراسات المقارنة تظهر محاسن ومساوئ تلك الطرق عملاً بالقول: (وبضدّها

تتمايز الأشياء) وأخيراً: إنَّ مَنْ يقرأ الطريقة الخصيبية مقارنة لها مع الطرائق الأخرى يجد فيها فضائل لا توجد عند غيرها، ومزايا ليست متوافرة فيما سواها لأنَّها استقت أصولها ومبادئها عن الأئمة المعصومين الأثني عشر (عليهم السلام) الذين لا يفرقون عن القرآن الكريم ولا يفترقون عنه فهم عدوله، وقد حضَّوا على العرفان والاستبصار وهذا من أهم الرياضات الروحية التي تحضّ عليها الطرق الصوفية مع فارق هام: أنَّ العرفان والاستبصار يدعو الإنسان العارف إلى عدم الانعزال عن الناس وعدم ترك الدنيا وفق نظرة سلبية تدعو إلى ترك عمارتها. بل يدعو إلى التوسط والاعتدال في فهمها وممارسة هذا الفهم بصورة إيجابية تتجلى بعمارة الدنيا لأنَّها دار ممر إلى دار مقرّ، والعاقل من تزوَّد فيها خير الزاد ليوم المعاد عملاً بقوله تعالى: (**وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (٧٧)) (القصص) وهذا عين ما أكدّ عليه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) بقوله: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) فالطريقة الخصيبية تدعو إلى بناء الإنسان الكامل المؤهل لدخول الجنّة حيث عالم الصفاء بعيداً عن أهل الكدر والشقاء وذلك بمجاهدة النفس بالعبادات الخمس بغية الانتقال من عالم الحس إلى عالم القدس ولذا تجد بين أتباع الطريقة الخصيبية بعض الرؤساء أو العلماء أو الفقهاء قلَّما تجد مثلهم في الطرق الصوفية الأخرى. كما تدعو الطريقة الخصيبية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وضرورة التوفيق بين أحكام النقل ومعطيات العقل من الفلسفة أو علم الكلام لدرجة أنَّها تعتبر تأويلاً حقيقياً لظاهر الشريعة الغراء وفق أحكام المذهب الجعفري الشريف.. لأنَّ مؤسس هذه الطريقة كان مصنفاً في علم الإمامية وإماماً للجامع الكبير في حلب أيام سيف الدولة الحمداني ذلك الأمير الشهير الذي كان يقتدي ويأتم بالسيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي(رضوان الله عليه) الذي أقام الشريعة بكل فرائضها ومن الثابت أنَّه صلى وصام وزكى وحجَّ إلى بيت الله الحرام سبع عشرة مرة. وهذا يفرض على مقلديه وعارفيه القيام بذلك حسب أصول وتعاليم الأئمة الأطهار الواردة في قواعد وأحكام المذهب الجعفري الشريف الذي هو بذات الوقت مذهب السيد الخصيبي (رضوان الله عليه) والقائمة تعاليمه على ولاية أمير المؤمنين وباقي الأئمة الأثني عشر الأطهار عليهم السلام. ومن هنا نؤكد على أنَّ هويتنا الدينية الإسلامية من خلال انتمائنا للطريقة الخصيبية التي تلتزم نهج الأئمة الأطهار(عليهم السلام) وفق تعاليم مذهبنا الجعفري الشريف، وأَسألُ الله تعالى أن يكون عملك هذا ذخراً تلقاه في صحيفة أعمالك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طرطوس /٨/جمادى الأولى/١٤٣٣/هـ الموافق /٣٠/آذار/٢٠١٢/م

أخوكم الدكتور يوسف حامد عيسى

الموجه الاختصاصي للتربية الدينية الإسلامية في محافظة طرطوس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنَّ من طبيعةِ الحياة الاجتماعية والسِّياسيَّة والاقتصادية للإنسان الاختلاف. إضافةً إلى تفاضل العقول، وتفاوت الأفهام بين البشر.

أيضاً إنَّ للتوزّع الجغرافي، والخلفيات الثقافية والفكرية للمجتمعات الإنسانية دوراً هاماً في الاختلاف والتباين، وفي فَهمِ واستيعابِ ما تَراهُ النفسُ ملائماً لها، أم لا، فتناول الدارسون والعلماءُ والباحثون الأفكار الدينية من كتبٍ سماوية، وتعاليم نبوية، وأقوال، ووصايا، المصلحين والمفكرين والحُكماء، بالتفسير اللغوي والتأويل العقلي، كلٌّ حسب مفهومه، مع مدى اختلافِ مشاربِ وأهواء المفسِّرين اللغوية والفكرية، وما يَحتَمِلَهُ النصُ الواحد من عشراتِ التفاسير، ولقد كَثُر ذلك في البلاد التي انتشر فيها الإسلام، وذلك لعدةِ أسباب، منها: (وجود أديان ومعتقدات متعددة، والحاجة عندهم إلى شيء جديد جامع).

وقد قال رسول الله (ﷺوآلهِ): اختلاف أمتي رحمة.*[1]

. فمنهم من يَفهم الكلامَ فهماً سطحياً، ولا يقدر على الغوص إلى أعمقِ من ذلك.

---

[1] ـ كنز العمال.

. وهناك آخرون بحسِّهم المرهف، وذكائِهم المميّز، يستشعرون أكثر من مفهوم النص الحرفي وأعمق.

. ومنهم مَنْ يَرى أنَّ روحَ النص هو المقصود، وليس شكله العام.

. وهناك آخرون يتعاملون مع النصوص بالأدلةِ العقلية، والأجوبةِ المنطقية دون المرسَلِ والمسنَدِ من الأخبار.

. إضافةً إلى التعاملِ العاطفي والوجداني "مع النص" الخاضع للبيئة والانتماء، الديني والسياسي والجغرافي والاقتصادي.

. وأيضاً اختلاف الرواة حول النصِّ الواحد، وطريقة إيصاله إلى القرَّاء.

كلُّ ذلك أدّى إلى نشوءِ مدارس متنوعة، ومختلفة تُدافعُ كلّ مدرسة عن وجهةِ نظرها ومفهومها لإثباتِ رؤيتها أنَّها الأصح.

وهذا بدورِهِ أيضاً أدّى إلى إثراءِ التراث الفكري والديني، بتنوعِ الأجوبةِ للمسألةِ الواحدة، وإغناءِ المكتبة العربية بالمئاتِ من المؤلفاتِ المتفقة بالمضمون المختلفة بطرقِ الإجابات، حتى ليظنَّ القارئُ أنَّهُ أمام تناحر فكري للوهلة الأولى، لكنَّه ما يلبث أن يكتشف أنَّهم تناولوا الفكرةَ من جميع جوانبها، التي قد تدعو للتشكيك فيها لغير المطّلع على لغةِ القوم ومعارفهم. **في خِضمِّ هذا الحراك الفكري والعقائدي ظهر السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.**

فمن هو الخصيبي ؟؟

هو أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ﭬ)، نسبةً إلى جدِّهِ، أو إلى المنطقة التي ولِدَ فيها.

ويُقالُ الجنبلاني: نسبة إلى جنبلاء البلدة التي وُلِدَ فيها، وهي بلدة بين واسط والكوفة في بلاد العراق.

وقيل نسبةً إلى أستاذِهِ أبي محمّد عبد الله الجنَّان الجنبلاني الفارسي(ﭬ)، (الذي ولد في سنة (٢٣٥) هـ وتوفي سنة(٢٨٧) هـ).

ولِدَ الخصيبي عام /٢٦٠/ هـ، وهو العام الذي مضى فيه الإمام الحسن العسكري*[٢] (ﭺ)، نشأَ نشأةً دينية، وتعلَّم بعض العلومِ السائدةِ آنذاك. حَفِظَ القرآن الكريم في السابعة من عمره، وقيل في العاشرة، واجتهد في تحصيل الكثير من العلوم حتى صار عَلَماً ينضح بالمعارفِ، كان يسمعُ التوحيد من الشيوخ والعلماء الذين كانوا يتوافدون إلى دارِ والده حمدان الخصيبي، أرادَ أن يتعلم الطريقة الجنبلانية في الحادية عشر من عمره، فنهرَّهُ أبوه وعمَّه وقالا له: تَرَفَّق ترشد!!!وجاء عنهُ أنَّهُ قال: دخلتُ في بعضِ الأيامِ على أبي وعمي فوجدتُهما ومعهما كتابٌ مجلَّداً يقرأان فيه، ويتذاكران شيئاً من علمِ التوحيد، فلمَّا رأياني سكتا عما كانا يخوضان فيه!! فقلتُ لهما: تحدَّثا بما كنتما فيه،

[٢] - ولد بالمدينةِ المنورة سنة/٢٣٣/هـ وتوفي سنة /٢٦٠/هـ. ومشهده جانب مشهد أبيه في دارهِ بسر من رأى.

فصاحَ عليَّ أبي وعمّي وطرداني، فخرجتُ من عندِهما وأنا باكي العين موجوع القلب، ممَّا جرى عليَّ من أبي وعمي، وفتحتُ باب الدار وخرجتُ، فلم أبعد إلَّا قليلاً، فإذا أنا بغلامٍ شابٍ أحسنُ من الشمسِ، وأَبهى من القمرِ مقبلٌ اتجاهي، فلمَّا وصلَ إليَّ قال لي: يا حسين ما أبكاك ؟ لا أبكى الله لك عيناً!!! أحزنكَ ما فعل بِكَ أبوك وعمك ؟ فقلتُ: هو والله ذلك، فقال: تُحبُ أن تعلم ما هم فيه ؟ فقلت: أي والله يا مولاي إنيَّ لأهوى ذلك، فقال لي: تقدم وافتح فَمَكَ، فتقدمتُ إليه وفتحتُ فمي، فتفل فيه تَفلَةً، وقال لي: (مُرَّ فقد أورَثتكَ عِلماً جمَّاً).*[٣]

قال الحسين بن حمدان: فوا الله لقد تحقَّقَ، وأحسسَّتُ أنَّ بين جنبيَّ بحراً يتلاطم*[٤] بأمواجه عِلمَاً وفهماً.

ثم قال لي: أمضِ الساعةَ لوقتِكَ، فاقصص عليهما ما كانا يتحدثان فيه، واتلُ عليهما كتابهم الذي في أيديهم من أولِهِ إلى أخرهِ، فقلتُ له: مولاي مَنْ تكون أنتَ الذي قد مَنَّ اللهُ بكَ عليَّ ؟

فقال: أنا محمّد بن نصير بن بكر النميري (أبو شعيب).*[٥]

[٣] - وردت في أكثر من مكان (مُرَّ فقد ورَّثتك علم الأولين والآخرين).
[٤] - وردت يتغطمط (أي مضطرب من شدة الموج وكثرته).
[٥] - كان باب العلم للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) توفي سنة/٢٧٠هـ.

فغدوتُ إليهما، ولماَّ رأياني خبَّئا الكتابَ عَني وسكتا، فوقفتُ عند بابِ المجلس، وقلتُ لهما: تُحبان أن أُعَرِفكما ما أنتما فيه ؟ فقالا: نعم؛ فقلتُ: معكما كتاب المترجم بكذا وكذا، وقرأتُ عليهما الكتاب من أولهِ إلى أخرهِ، فعند ذلك بُهتا ينظران إليَّ!! وقالا:مِنْ أَينَ لكَ عِلمُ ذلك ؟

فقصصتُ عليهما قصَّتي مع السيد أبي شعيب، فَسقطا على وجهِيهِما سُجَّداً، ثُمَّ قاما قياماً وأَتيا إليَّ وحملاني على أكتافهم وأجلساني.

وقالا: نشهدُ باللهِ إنَّ لك مِنَ اللهِ منزلة لسنا نجدها عظماً، وجلسا يَقرَأا الكتاب، وكانَ كُلما أُرتجَ عليهما أسباب لا يعلمان ما هي فيسألاني عنها فأعرّفهما ما هي على حقيقتِها، فما فيهما إلَّا مَنْ قبَّل رأسي ويداي وشكر الله على ما أنعم عليَّ من ذلك.

ومما يشدُّ ذلك ويؤكده ما ذكره الشيخ أبو الحسين محمّد بن علي الجلي*[٦] (قُدّس سرَّه) في الخبر الذي يزعم بهِ أهل التقصير بلوغِ معرفة ومنزلة الخصيبي (قُدّس سرَّه). قال: وبتُّ ليلتي وأنا على أتمِّ طهارة وتهجد، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذْ رأيتُ كأنّي في أرضٍ خضراءِ ذات حصى صغار وإذا بمولاي (عليه السلام) بصورته ونعته،*[٧]

[٦] ـ ولد سنة/٣٣٠/هـ وتوفي سنة/٣٩٩/هـ. لهُ العديد من المؤلفات والآثار.

[٧] ـ قال (صلى الله عليه وآلهِ): من رآني في منامه فقد رآني، فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وأنَّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة.(روضة الواعظين).

وقال لي يا حسين: (أحزنك منع أبيك وعمك معرفتي ؟ ارقَ على يدي اليمنى، فرقيتُ (فهزَّني ودحاني)*[٨] وقال لي: أنظر فنظرتُ إلى الأرض وجميع ما فيها تحتي، فكبَّرتُ وهلَّلتُ ومجَّدتُ، ثُمَّ أعادني إلى يدهِ، وقال لي: أقَنِعتَ يا حسين أم أُزيدك ؟

فقلت: يا مولاي منك أطلبُ المزيد، فهزَّني ودحاني ثانيةً، فرأيتُ الدنيا تحتي كحلقةِ الخاتم، فكبَّرتُ وهلَّلتُ ومجَّدتُ، فأعادني إلى يدِهِ، ثُمَّ قال لي: أقنعتَ يا حسين أم أزيدك ؟ فقلت: يا مولاي منك أطلبُ المزيد، فهزَّني ودحاني ثالثةً، فرأيتُ السماءَ تحفُّ رأسي والكواكب بإزائي وسمعتُ الملائكةَ يهللون ويسبحون ويمجدون الله، فسبَّحَتَهُ وهلَّلتَهُ ومجَّدتَهُ، فأعادني إلى يدِهِ، وقال لي: امضِ، فإنَّ اللهَ سَيُعلي قدركَ ديناً ودنيا، وأهلك لن يمنعوك بعدها من علمٍ، ويلتمسون لك أباً).*[٩]

قال الحسين: فأتيتُ إلى أبي وعمي وأخبرتُهما بما رأيتُ فصدَّقاني، وحملاني إلى الشيخ أبي محمّد عبد الله الجنان الجنبلاني (رضي الله عنه)،*[١٠] وسألاه أن يفتحَ عليَّ، ويكون لي مُرشِداً روحياً بعد أن أعلماهُ بالأمرِ، ورويا لهُ كلّ ما مرَّ معهم، وما

[٨] ـ أي زاده بسطة في العلم .

[٩] ـ أي شيخاً. لأنَّ المعلم الروحي أبٌ عند الصوفية.

[١٠] ـ صاحب الطريقة الجنبلانية (وهي أصل الطريقة الخصيبية) عاصر ثلاثة من الأئمة (الهادي والعسكري والمهدي)(عليهم السلام) ولد سنة/٢٣٥/ هـ وتوفي سنة/٢٨٧/هـ.(هذا يدلُّ على أنَّ الخصيبي تربى وتعلَّم وعلَّم بجنبلا في العراق وليس في مصر كما قال بعض الكتَّاب. ومن عادة الشيوخ والكتَّاب والشعراء أن يذكروا البلدان التي ولدوا وتربوا فيها، أو حتى زاروها، ولم نقرأ عند الخصيبي ذكره مصر، ولا حتى بلاد النيل، لا في شعره ولا في نثره.

حَمَلَ (الخصيبي) من معجزٍ ظَهَرَ بُرهانه، واعترف الجميع بفضلهِ وسبقِهِ وعلوِّ مقامهِ، فقَبِلَهُ الجنّان تلميذاً في عدادِ تلاميذهِ*[١١] وهو في السنة الرابعة عشر من عمره، وقد تعلقت نفسُهُ بالجنّان، فَهَجَرَ كلّ شيء وبقيَ مُرافقاً لأستاذهِ حتى وفاته سنة/٢٨٧/هـ، فأوكلَ الجنَّان للخصيبي شؤون الطريقة، فَحَمَلَها أميناً صادقاً داعياً إلى اللهِ بالحقِّ، وانطلقَ الخصيبي من جنبلاء إلى بغداد ليدعو أهلها إلى معرفة الله، وفي بغداد سبقته شهرته إلى هناك فكان يُسمَّى بفتى العراق، وواعظ الآفاق فاستقَّر فيها، وفتح داراً قَصَدَهُ أهل العلم وأهل الفكر، (جاءَ أنَّهُ سكنَ في بغداد شارع البرامكة بباب الكوفة)*[١٢]

. ودخل في مجلسهِ من أهل الإيمان وغيرهم بغية التعلم والاستماع إلى آرائه وأفكاره، (وأسلَمَ على يديهِ العديد من الكتابيين، ومنهم من أصبحَ تلميذاً لهُ)*[١٣] (وهناك أدخَلَ تلاميذه السبعة عشر العراقية في طريقته، وأوَّلَهم راست باش الديلمي)*[١٤] ومن أشهرِ أتباعِهِ ومُريديهِ تلميذهُ ووصيّهُ الشيخ أبو الحسين

[١١] - ذُكر أنَّ للشيخ الجنان(رضي الله عنهم) ثمانية تلاميذ،هم ١- أبو الحسن الطوسي ٢- أبو الحسن محمد بن علي الكوفي ٣- أبو الحسن علي العسكري ٤- أبو الجارود المُحدّث ٥- أبو إسماعيل بن القاسم ٦- أبو جعفر أحمد بن يحيى النيسابُوري ٧- أبو القاسم أبان بن علي القُوسَاني ٨- أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي(رضي الله عنهم).

[١٢] - رواية الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي العباس، وهو من الذين رووا عن الخصيبي (رضي الله عنه).

[١٣] - منهم: هارون القطان. وإينال المطبب.(ويُقال دانيال) وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن هارون الصابغ.

[١٤] - هو أبو منصور عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي. ولد سنة/٣٣١/هـ وقتله ابن عمهِ سنة/٣٦٧/هـ. وهذا هو الأصح لأنَّهُ ورد عن أتباعهِ ومُريديه. ويُقال هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن أبي علي ركن الدولة الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي ولد/٣٢٤/هـ وتوفي/٣٧١/هـ.

محمّد بن علي الجلّي، والشيخ أبو الحسن علي بن عيسى الجسري*[15] والشيخ أبو محمّد الحسن بن علي بن حسين بن شعبة الحرَّاني*[16] اعتُقِلَ الخصيبي في بغداد وسُجِنَ فيها، وقد اختلفَ الكُتّابُ والمؤرخون حول دخولهِ السجن، فمنهم من قال: أنَّه حُبسَ في بغداد لميلهِ إلى التشيّع ؟!!

ـ ويقول حيدر مصطفى*[17]: (جاءَ خبرٌ في كتابِ اللمعة الدمشقية): أنَّهُ كان في عصرِ الخصيبي في بغداد وحدها آلاف من المحدثين الناشرين لفضائل آل البيت /عليهم السلام/ ، فلماذا الخصيبي وحده يُعتقلُ دون هذا الجمع الكبير من الشيعة،... ويتابع القول: فعدتُ إلى ديوانِ الشيخ أفتشُ عن دليلٍ يُخرجنا من هذه الحيرة وقد وجدت والحمد لله الدليل القاطع الذي نستطيع الاعتماد عليه، وهو قول الخصيبي نفسه، حيث قال:

صرُتُ أُدعى في الناسِ من بعد   سرٍّ قُرمطياً وصرتُ أُعزى بدخله

حسبي الله الوكيل وخمس   بعد سبع هم مناهج سبله

إذاً اتُّهم الشيخُ الخصيبي بالقرمطة،*[18] فَأُخذَ وحُبسَ في بغدادِ فقال:

بسجن بغداد في طوابقِها   بحبِّ مولاي يعادوني

[15] ـ لهُ مؤلفات في التوحيد، توفي سنة/٣٤٠/هـ.

[16] ـ من أعلام القرن الرابع الهجري، لهُ العديد من المؤلفات أشهرها تحف العقول.

[17] ـ (حيدر مصطفى عبد الكريم في تحقيقه لكتاب الهداية الكبرى، الجزء الثاني) .

[18] ـ (الدعوة الباطنية التي ظهرت في بغداد /٣١٧هـ / لحمدان قرمط).

وقال أيضاً:

ساءني الدهرُ إذْ رماني بسجنٍ ودهاني بكلّ خطب جليل
وكذا حكم كلّ امرئٍ من الناسِ ولي لآل بيت الرسول

(وقيل إنَّ الحسين بن منصور الحلاج دبَّر لَهُ تهمَةً مع امرأةٍ خاطئة بعد مناظرة جرت بينهما فسُجن وعُزِّر).*[19]

. وجاء أيضاً أنَّه: أرسل توزون التركي يعتقل الشيخ الخصيبي، بمكيدةٍ من أبي الحسن الهروي الذي كان مُتحالفاً مع توزون التركي، ويخشى نفوذ الشيخ بين الشيعة، ولمنعِهِ من تحريكِ أَتباعه لدعمِ الحمدانيين، وللضغطِ عليهم بالتهديدِ بقتل الشيخ الخصيبي.

فأنشدَ الشيخُ الخصيبي مُتَّهِماً أبا الحسن الهروي بتنفيذ المؤامرة:

أيضحو فؤادي والفراق عظيم وترقى دموعي والسقام أليم
وقد صرتُ في سجن الصبابةِ موثقاً وحولي صروف الحادثات تحوم
فما حال من أمسى غريباً ببلدةٍ لهُ الحزن إلفاً والحنين نديم
يُخَيَّلُ لي أهلي وبالقصر لي حمىً وإنّي لفي ما بين ذين مقيم
أبا حسنٍ عش في سرور وإنَّما سرورك لي عند الشقاء نعيم
ففيمَّ برجم الغيب لم ترعَّ ذمتي وحبلي متينٌ والإخاء جسيم
فيا شيعةً قد أصبحت بفعالها مُحبُّ أمير المؤمنين أثيم

[19] ـ أخبار الحلاج لماسنيون. وتراث الحلاج لعبد اللطيف الراوي. وأخبار الحلاج لابن أنجب الساعي.

إذا منع الباب المعالج قفله   فمن ألف جلد لا يصحُّ أديم

منابع العرفان للأستاذ حسن يونس حسن

. نعود إلى كلام الأستاذ حيدر: مرِضَ الشيخ في سجنهِ، وعميَ وانفضَّ عنه إخوانه ومعارفُهُ، وظنَّوا أنَّهُ غير أهلٍ بأن يكون مُرشداً روحياً لهم بعد هذا السجن، فأرسلَ إليهم مقطوعة شعرية فيها الدليل على سفهِ دعواهم، ونعرض بعضاً منها بقوله:

خَليليَّ ما بَالُ الصداقة بينكم   تُديمونها بالمالِ والجاهِ والنفسِ
وما بَالُها تُرعى على كلّ حالةٍ   من الدين والدُّنيا وتُهجرُ في الحبسِ
أفي الحبسِ عارٌ ويَحكم تَفترُونَهُ   أم الحبسُ لم يُبنَ لخلقٍ مِنَ الإنسِ
أليسَ خَليلُ اللهِ في حَبسِ ضِدَّهِ   وجَاحِدُهُ نمرود ظل على حبسِ
ومن بعده في السجن ما زال يوســــــف سنين بحال المهمل المنسي
وأعجب شيء فيكمُ إذْ هجرتم   أخاكم بلا جُرمٍ فَفَاءَ إلى الحبسِ
قَسمتُ لكم ما هذهِ من صَدَاقةٍ   يُميَّزُ فيها البُهمُ من عَالَمِ الإنُسِ
ولولا علالاتي وما بي صبابةٌ   بقلبي منكُم بعتكم بيعةَ الوكسِ

. إذاً بقي الخصيبي مدة من الزمن في السجن عُمي بصره فيها ونحل جسمه، ورويَّ أنَّه كان يُبصرُ عندما يُريد القراءة، وقد استغلَّ وجوده في غياهب السجن فنظم ديواناً شعرياً عُرِفَ /بالسجنيات/.وقيل أيضاً: أنَّهُ في بغداد حُمِلَ على جملٍ أجرب، وراح يجوب الأحياء والشوارع بغية التشهير به، وعندما وصلَ الجمل نحو قنطرة صغيرة، وأرادَ قائد الشرطة أن يُكرِهَهُ على الدخولِ من تحتها، تقدَّمَ الجملُ

وارتفعت القنطرة فجأة بإذن الله تعالى، فتقدم قائد الشرطة وكان آنذاك {راست باش الديلمي} إلى الشيخ وقال له: يا سيدي إنَّ لك منزلة عظيمة عند الله، فأنزلَهُ عن الجملِ بكلِ احترامٍ وتقدير، ومن ثُمَّ أُعيدَ إلى السجنِ، وبعد فترة توسَّط لَهُ أحد الأمراء الحمدانيين { وهو الأمير داوود بن تغلب الحمداني } وأخرَجَهُ من السجن. وفي بغداد كان له لقاءات ومحاورات، منها مع الحلاج (الحسين بن منصور)*[20] وكان معاصراً لهُ، وواحدة أخرى مع ابن بابويه القمي.*[21] ويُقال مع ابن ثوابه.*[22] وغيرهم من أربابِ المذاهب والطرق...روى الأحاديث والأخبار عن مجموعةٍ كبيرة من الرواة الصادقين، الذين عاصروا

[20] - من أكثر الشخصيات الإسلامية المثيرة للجدل، قال بالشطح والحلول، أُعدم سنة/٣٠٩هـ الموافق/٩٢٢م. (وعن الحسين بن حمدان قال: سمعتُ الحسين (الحلاج) يقول في سوق بغداد:

ألا أبلــغ أحــبــائــي بــأنــَّي ركبتُ البحر وانكسر السفينة
ففي دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أُريدُ ولا المدينـة

فتبعته، فلما دخل داره كبّر يُصلّي، فقرأ الفاتحة والشعراء إلى سورة الروم، فلما بلغ إلى قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ (٥٦) (الروم).وكررها وبكى، فلما سلّم قلتُ: يا شيخ تكلمت في السوق بكلمةٍ من الكفر، ثُمَّ أقمت القيامة ها هنا في الصلاة، فما قصدك؟ قال: أن تقتل هذهِ الملعونة، وأشار إلى نفسهِ!! فقلتُ: يجوز إغراء الناس على الباطل؟ قال: لا ولكني أغريهم على الحق، لأنَّ عندي قتل هذهِ من الواجبات، وهم إذا تعصبوا لدينهم يؤجرون). (آلام الحلاج ماسينيون).

- وورد في خبر آخر: (أنَّهُ قال: دخلتُ على الحلاج يوماً، فقلت لهُ: أريد أن أطلب الله فأين أطلبه ؟ فاحمرت وجنتاهُ، وقال: الحقُّ تعالى عن الأين والمكان، وتفرد عن الوقت والزمان، وتنزَّه عن القلب والجنان، واحتجب عن الكشف والبيان، وتقدس عن إدراك العيون، وعمَّا تحيط بهَ أوهام الظنون، تفرد عن الخلق بالقدم، كما تفردوا عنه بالحدث، فمن كان هذا صفته كيف يُطلب السبيل إليه ثُمَّ بكى وقال:

فقلتُ أخلائي هي الشمس ضوءُها قريبٌ ولكن في تناولها بُعد). (أخبار الحلاج ابن أنجب الساعي).

[21] - أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي المُلقب بالشيخ الصدوق توفي سنة/٣٨١هـ.

[22] - أورد هذا الخبر الشيخ شوقي الحداد في تحقيقه لكتاب الهداية الكبرى ج١- ج٢ .

الإمامين الهادي والعسكري /عليهما السلام/، منهم إبراهيم بن الخصيب، وأحمد بن داوود بن علي القمي، وأحمد بن محمّد الخصيبي، وأحمد بن إسحاق، وأبو جعفر محمّد بن جرير الطبري الآملي، وإسحاق بن إسماعيل النيسابوري وغيرهم الكثير، تَرَكَ بغدادَ خوفاً من السلطة وهاجر قاصداً حلب، حيث بقي فيها مدة راحَ يدعو أهلها إلى معرفةِ الله، ويُحدِّث بفضائل آل البيت /عليهم السلام/، واجتمعَ عنده خلقٌ كثير وأتباع، ولكن عيون السلطة وأرباب السياسة كانت الأقوى، فراقبوه وضيقوا عليه الخناق، فَسَئِمَ معاشرتهم وتبرّم بهم*[٢٣] فقال:

سئمت المقام بنادي حلب وَقد ضَاقَ بي الرَّحبُ فيما رَحَب

تركَ حلبَ وهاجر إلى الشَّامِ حيث فتحَ داراً ودعا الناسَ إلى معرفِةِ الله، وأَدخَلَ في طريقته سبعة عشر تلميذاً عُرفوا بالشامية، فطارده من تبقَّى من أتباعِ السلطةِ والمناصرين لهم، وشددوا عليه الخناق فقرر الهجرة إلى الكوفة كما بيَّنَ في

قصيدتهِ: سَئِمتُ المقَامَ بأرضِ الشَّآمِ

إلى كُوفةِ الخير دَارِ الوَصيّ وَهجرتِهِ فهي دارُ السلامِ

. هاجر نحو الكوفة حيث يكثر شيعة أمير المؤمنين علي /عليه السلام/، فأستأنسَ بهم وفتح داراً فيها، وصار كعبةً ومقصداً ومحجةً لأهلِ العلم والدين، وقد أعطى إجازة في التاريخ للتلعكبري، واسمه أبو محمّد هارون بن موسى بن أحمد

[٢٣] ـ ضجر من معاشرتهم.وملَّهم.

التلعكبري عام /٣٤٤/ هـ؛ وفي أثناء هذه التنقلات والهجرات المتعددة ومعاناته الكبيرة لإيصالِ دعوته، كانت الأحداث السياسية تتسارع واستولى سيف الدولة الحمداني*[٢٤] على حلب عام /٣٣٣/ هـ، فعاد الخصيبي إلى حلب واتخذها موطناً وسكناً، عاد ليكمل ما بدأه في الرحلة الأولى، وأنَّه لما اجتمع مع سيف الدولة بحلب قصد التعريف بالظاهر والباطن، وقد أهداه كتابان هما: الهداية الكبرى، وكتاب المائدة.{ ولهُ أيضاً من المؤلفات: ديوان شعر كبير في التصوف والتوحيد وفضائل أهل البيت/عليهم السلام/، ورسالة أيضاً في الأصول، وكتاب الفرق بين الرسول والمرسِل }. وكانت حلب آخر المطاف فسكن فيها، وهذَّب وعلَّم، وأعطى الكثير من وقته وجهده وفكره.

. وقال أبو الفتح هبة الله بن الخباز في القاهرة سنة /٤٣٢/هـ ، قال: حدثني الشيخ أبو الحسين محمّد بن علي الجلي بحلب سنة /٣٧٩/هـ ، قال: وقد أقعدَ الشيخَ العجزُ في أواخرِ أيامِهِ، فدعا الداخلين في طريقتِهِ على اختلاف مناطقهم ومناصبهم. قال محمّد بن علي الجلي: حضرنا في اليوم الذي قضى الله (عزّ وجلّ) فيه وفاة سيدنا الخصيبي نضر الله وجهه، وهو يوم الأربعاء رابع ليلة خلت من ذي القعدة عام /٣٥٨/ هـ، قال: فاشتدَّ الأمر بالسيد أبي عبد الله (رضي الله عنه)، فقال للجماعة: ابعدوا قليلاً، فخرجنا من عندِهِ جميعاً،.. إلى أن قال: فنادى يا

[٢٤] ـ علي بن عبد الله أكبر ملوك الحمدانيين، لُقب بسيف الدولة، أمير حلب وفارسها ، ولد سنة /٣٠٣/هـ وتوفي سنة/٣٥٦/هـ. وأورد صاحب لسان الميزان شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، عن أبو العباس بن عقدة: أنَّ الخصيبي كان يؤم سيف الدولة الحمداني في الصلاة.

محمّد، قلتُ: نعم يا مولاي، قال: ادنُ مني، فدنوتُ منه، فقال لي:

يا محمّد (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)**)(الزمر)..

فقلتُ: آمنتُ وصدقتُ يا مولاي، لا أشكُّ ولا أشركُ، فقال: ثبَّتكَ اللهُ بالقولِ الثابت في الدنيا والآخرة، ثم قال: اشهد عليَّ إنّي عبدٌ من عبيد الله، وسمعي من أبي محمّد عبد الله بن محمّد الجنان الجنبلاني، وأنَّهُ ممن شاهدَ الإمامين علي الهادي والحسن الأخير العسكري /عليهما السلام/ وسماعه من السيد محمّد بن جندب، ورويتُ الأخبار عمن شاهدَ الإمامين وروى عنهما، **وما علَّمتكم إلَّا ما علمت من شهود وثقات، فلا تقل عني غير ذلك**، ثم أومأ إليَّ بتغميض عينيه وقضى نحبه /رضي الله عنه/، فغسلناه وجهزناه، وصلينا عليه، ودفناه في مشهد الدكة بحلب.*[٢٥]

. ولقد قال الشيخ (رضي الله عنه) مُخبراً عن نفسِهِ وعلمِهِ ورتبتِهِ:

يقـــول بقـــولِ صـــبٍ زينـــبي خصـــيبي أتـــت بـــه جنـــبلاء

وقد جاء في شرحِ ذلك للشيخ إبراهيم عبد اللطيف (رحمه الله) فقال: الضمير في يقول: للموحد الذي يحييه العلم، والصب الزينبي يعني نفسه (رضي الله عنه) نسبة لمحمّد بن أبي زينب (رضي الله عنه) وأَتتْ به جنبلاء أي ولِدَ ونشأ فيها، وهي بلدة بين واسط والكوفة.

[٢٥] ـ وهناك رواية تقول أنَّه توفي /٣٤٦/ هـ الموافق /٩٥٧/م ومقامه معروف بحلب، بمقام الشيخ يبرق. وقد روي في هدايته الكبيرة طبع إيران الصفحة السادسة أنَّه صلى عليه سيف الدولة الحمداني ملك حلب.

وقال (رضي الله عنه) أيضاً:

وطـــــرتُ بناشــــري ملكـــــاً　　كروبيـــــــاً*[٢٦] إلى وطـــــــني

إلى ســـــقفِ الســـــماء لكـــــي　　أنعـــــم فيـــــه مـــــع ســـــكني

وقد سُيّرتُ في الجنا　　تِ مع ملكٍ يُسيّرُني

يُقالُ لهُ أبو الغفرا　　ن رضوانٍ أبو حسنٍ

فأســــــكنني برحمتـــــــهِ　　مســـــاكنها ومتّعـــــني

بحـــــورٍ بـــــين ولـــــدانٍ　　حســـــانٍ ثم ألبســـــني

مـــن الخضـــر الســـنا دس مـــا　　بـــه في الخلـــق زينـــني

وفكّهـــــــني بفاكهـــــــةٍ　　ولحـــم الطـــير أطعمـــني

وأســـــقاني مـــــن الأنهـــــار　　مـــــاء لـــــيس بالآســـــن

وروّى أعظمــــــي خمــــــراً　　ومـــن عســـلٍ ومـــن لـــبنِ

---

[٢٦] - في بصائر الدرجات عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: إنَّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إنَّ موسى (عليه السلام) لما سأل ربَّه ما سأل أمر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً.

وقال (رضي الله عنه) في قصيدةٍ غيرها:

يروي عُلوماً مُلخَّصاتٍ لا عن فلانٍ ولا فلان

إلاَّ سماعاً من المنادي يوم الأظلة غير وانِ[٢٧]

وغير ساهٍ وغير ناسٍ ما كانَ من ذاك البيانِ[٢٨]

قال الشارح (رحمه الله): يعني أنَّ ما سمعه في ذلك الوقت لم ينسَهُ ولم يَسْهَ عنهُ، ولم يضعف عن حَملهِ، لأنَّهُ ثبت أنَّهُ (معصوم)*[٢٩] لا يطرأ عليه السهو والنسيان.

وقال (رضي الله عنه) في قصيدةٍ غيرها:

---

[٢٧] - جاء عن الإمام محي الدين عبد القادر الجيلاني المتوفى /٥٦١/ هـ مؤسس الطريقة القادرية.
أنَّهُ قال:{قطعتُ جميع الحجب للحبِّ صاعداً وما زلتُ أرقى سائراً بمحبتي}
وقال: {ولنا الولاية من ألستُ بربكم رشقت قلوب المنكرين سهامنا}
وقال: {أنا كنتُ قبل القبل قُطباً مُبجلاً تطوف بي الأكوان والربُّ سماني}
وقال: {ما زلتُ أرتعُ في ميادين الرضا حتى بلغتُ مكانة لا توهبُ}
وقال: {وكل فتىً على قدمٍ وإنّي على قدم النبي بدر الكمال}
وقال:{أنا البدر في الدنيا وغيري كواكب وكل فتى يهوى فذلكم عبدي
وبحري مُحيط بالبحار بأسرها وعلمي حوى ما كان قبلي وما بعدي}
لاحظ أصحاب الطرق الصوفية ماذا يقولون عن أنفسهم !! (الطريق الصوفي ليوسف زيدان) إذاً ليس الأمر متوقف عند الخصيبي فقط كما يرى البعض.وهناك الكثير من الأمثلة على هذه الأقوال.عند الصوفية.

[٢٨] - قال الشاعر أبو الطيب المتنبي،المولود سنة/٣٠٣/هـ والمُتوفى سنة/٣٥٤/هـ يمدح السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي:
يا أيُّها الملك المُصفَّى جوهراً من ذاتِ ذي الملكوت أسمى من سما
نورٌ تظاهر فيك لاهوتيَّه فتكادُ تعلمُ عِلمَ ما لم يُعلَما

[٢٩] - وردت (نوراني). بدل معصوم في النص. (المؤلف).

ونحن عالمنا في عدٍّ مائة ألف   وتسع عشر منه الأملاك*[30]

فمن دعاهم ومن صلى على أحدٍ   من النبيين حيَّانا وأتحفنا

قال الشارح (رحمه الله): بمعنى من توسل بالملائكة ومن صلى على النبيين فقد أتحفنا بالصلاةِ وحيَّانا بالسلام لأنَّنا نحنُ (من)*[31] ملائكة الله وأنبيائه الذين نَبأنا بعلمِهِ وأنبأنا الناسَ بمعرفتِهِ. ويقول نفعنا الله بعلمهِ:

لأنَّنا نحن هم من غير معرفة   من المصلين جَهلاً ويل مُنكرنا

قال الشارح (رحمه الله): فنحن هم، أي النبيون ومن لم يعرفنا ويلٌ لهُ لجهلِهِ رفيع مقدارنا. وقال زاده الله تعظيماً:

فـــإنّي قـــد حفظـــت العهـــد   مـــــن ذرو الأظـــــــلات

ولم أسْــــــــهَ ولم أغفـــــــل   عــــن تلـــك الوصـــيات

قال الشارح (رحمه الله): معنى هذين البيتين أنَّه لم يجرِ عليه من الغفلةِ والنسيان كما يجري على بني الإنسان.

---

[30] ـ عن رسول الله (ﷺ) قال: (إذا وضعت المائدة حفَّها أربعةُ أمْلاك): جمعُ المَلَكِ على الأمْلاك غير معروف، بل يُجْمع على الملائكة والملائك. واختلف في اشتقاقه؛ فذهب الأكثر إلى أنّه من الألُوكة؛ وهي الرسالة، وقال الخليل: الألوك: الرسالة، وهي المألُكة والمَألَكة على مَفْعلة، فالملائكة على هذا وزنها مَعافِلة؛ لأنّها مقلوبة جمع ملأك في معنى مألك، فوزن مَلْأَك مَفْعَل مقلوب مَألَك. ومن العرب من يستعمله مهموزاً على أصله، والجمهور منهم على إلقاء حركة الهمزة على اللام وحذفها، فيقال: مَلَك. وذهب أبو عبيدة إلى أنّ أصله من لَاكَ: إذا أرسل فَمَلْأَك مَفْعَل، ومَلائِكة مَفاعِلَة غير مقلوبة، والميم على الوجهين زائدة. وذهب ابن كيسان إلى أنّه من المُلْك، وأنّ وزن مَلْأَك فَعْأَل مثل سَمْأَل، وملائكة فَعَائِلة؛ فالميم أصليّة والهمزة زائدة. فعلى هذا لا يبعد جمعه على أمْلاك، (بحار الأنوار للمجلسي).

[31] ـ كلمة (من) بين قوسين لا تُوجد في النص. (المؤلف).

ومن كان كذلك فجديرٌ أن يُؤخذ بقولهِ، وحريٌ أن يُقتدى برأيه وبعلمه.

وقال نضَّر الله وجهه الكريم:

أنا ابن فراتكم عذباً شروب   على روضاتِ جنتكم أسيخُ

قال الشارح (رحمه الله): قولهُ ابن فراتكم: أي متبع عمر بن الفرات (باب الإمام الهادي (عليه السلام))، وروي أنَّ الشيخ أبو الحسين محمّد بن علي الجلي (قُدّس سرّه) سألَهُ عن مراده في قوله: أنا ابن فراتكم عذباً شروب ؟ فروى لهُ قصة دخولهِ على أبيه وعمهِ وطردهما لهُ، ولقاءهُ السيد أبو شعيب كما أوردنا.

وقال الخصيبي (رضي الله عنه):

عين الحياة شربتُ منها شربةً   تشفي الغليل وترويَّ الظمآنِ

وغرفت منها غرفة فشربتها   من كف سلسل من يدي سلمان

كم قد ركضنا فوق أفلاك العُلى   في ظلِ طوبى في رضا رضوانِ

بعد ما قرأنَاهُ من قول الشيخ وحديثه عن نفسهِ، وإشاراتِهِ وتلويحاته عن صفائهِ وعصمتهِ وصحَّةِ معتقدهِ، وإقتدائه بأهلِ البيت الأطهار (عليهم السلام)، وبثِّ علومهم ومعارفهم، تحققنا يقيناً خالياً من الشكِ من عصمةِ وصفاءِ هذا الشيخ وفكرهِ (رضي الله عنه). نفعنا الله بعلمهِ وعالمهِ ووفقنا لإتباعِ طريقهِ ومنهاجهِ...

****

الطرق الصوفية

الصوفية

قال السهروردي*[٣٢] عن الصوفية: (هذا الاسم لم يكن في زمنِ رسول الله (ﷺوآلهِ)، وقيل: كان في زمن التابعين. ثم نُقِلَ عن الحسن البصري، وما نقلناه عن الطوسي أيضاً. ثم قال: وقيل: لم يُعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية). *[٣٣]

وأمَّا القشيري*[٣٤] فقال: اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة). *[٣٥]

التصوف المنشأ والمصادر

التَّصوف

جَمَعَ يوسف زيدان تعريفات التصوف فقال: التصوف من حيث المنطق (مشتق من الصفاء)، وهو من حيث السلوك (كله خُلُق، فمن زاد في الخُلُق فقد زاد

[٣٢] - عمر بن محمد بن عمويه السهروردى - بضم السين – (نسبة إلى سهرورد، بليدة عند زنجان، من عراق العجم) ابو عبد الله. أحد السادات، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والورع والرياضة والتسليك.ولد بسهرورد، وقدم بغداد في صباه. سنة/٥٤٧هـ وتوفي سنة/٦٠٢هـ.

[٣٣] - عوارف المعارف للسهروردي ص ٦٣ .

[٣٤] - الإمام قطب الصوفية أبو القاسم عبد الكريم هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري. ولد سنة/٣٧٧هـ وتوفي سنة٤٦٥هـ / صاحب الرسالة القشيرية.

[٣٥]- الرسالة القشيرية ج١ ص ٥٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف ، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ج١ ص ٢٦٩ ط مؤسسة الحلبي القاهرة .

في الصفاء)، وهو من حيث الزهد في متاع الدنيا " مأخوذٌ من الصوف والخشن من الثياب " وهو من حيث المراحل والعتبات (شريعةٌ وطريقةٌ وحقيقةٌ)، وعلى الإجمال فما التصوف إلاَّ (تذوق حقائق الإسلام).

الطريق الصوفي

قال رسول الله (ﷺوآلهِ):

(الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحبُّ أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل زادي، والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه افتخر على سائر الأنبياء والمرسلين).*[٣٦]

. جاء عند القشيري: **الشريعةُ**: أمرٌ بالتزام العبودية، **والحقيقةُ**: مشاهدة الربوبية، وكلّ شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فأمرها غير مقبول، وكلّ حقيقة غير مقيّدة بالشريعة فأمرها غير محصول.

والشريعة جاءت بتكليف من الخالق، **والحقيقة** إنباءٌ عن تصريفِ الحقِّ، **فالشريعة** أن تعبده، **والحقيقة** أن تشهده، **والشريعة** قيام بما أمر، **والحقيقة** شهود لما قضى وقدَّر، وأخفى وأظهر.

الرسالة القشيرية

[٣٦] ـ عوالي اللآلي ج٤، كشف الخفاء،

. ولقد أجادَ الكاتب ممدوح الزوبي في توصيف حالات التصوف بقوله:

(لقد وقع الكثير في شُبهات عظيمة في التصوف، **فمنهم** مَنْ يَعِدُّ التصوفَ كشوفات وكرامات، **ومنهم** من ينظرُ إلى الأشغال الروحية والمراقبات والأحوال والكيوف الباطنية، **ومنهم** لا يَعِدُّ التصوف إلاَّ تقاليد وعادات خاصة، **ومنهم** من يراه رياضات ومجاهدات وزهد في العلاقات الاجتماعية، **ومنهم** من يَعِدُّ التصوف الفلسفي أو التصوف المصطبغ بالصبغة الفلسفية من أفكار وحدة الوجود ووحدة الشهود ونظريتهما هو التصوف الحق، وقد بلغ الأمر في ذلك إلى أن سمَّاه مفكري الغرب باسم (**السريّة**)، وكثير من المسلمين جَعَلوه (**سِرَّاً**)، أو **رمزاً** مُتنقلاً من صَدرٍ إلى صَدر. أمَّا الذين رأوا التصوف والطريقة والحقيقة والمعرفة ضد الشريعة، فهم الذين وقعوا في خطأ أجسم وضلالة أشد).

ويقول عن (الشيخ أشرف علي التهاوني: إنَّ للإنسان الكامل وجهين، الظاهر والباطن، أو القالب والقلب، كما أنَّ للدين وجهان، الشريعة والطريقة، وكما أنَّ الفقهاء يستنبطون في الشريعة أعمالاً وأحكاماً ظاهرة كذلك الصوفية يستنبطون ويستخرجون من طريقة التصوف أعمال القلب والباطن وأحكامهما).*[٣٧]

الطرق الصوفية

[٣٧] ـ بين التصوف والحياة لعبد الباري الندوي.

الطريقة الصوفية

قال السهروردي: (إعلم أنَّ تأسيس هذه الرُبط *[38] من زينةِ هذه الملة الهادية المهدية، ولسكانِ الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف، وهم على هدىً من ربهم).*[39]

التصوف المنشأ والمصادر

فالطريق عند الصوفية: هو إقامةُ ناموس العبودية عبر الرحلة الممتدة من الخلقِ إلى الحقِ...وهو السبيل العارج من العَالَمَ الفاني إلى حضرةِ الباقي عزَّ وجلَّ، وقد استخدم القوم لفظة (**السلوك**) للإشارة إلى الطريق الصُّوفي، لما تحمله من دلالاتٍ خاصة بالخروج والدخول معاً...

فالطريق: خروج من وهم الغفلة وحُبِّ الدنيا، ودخول في طاعة المولى ومحبته. ويتفق الصوفية على أنَّ غايات الطريق ونهاياته لا تَصحُّ إلاَّ بصحةِ البداية.*[40]

ومن هنا اهتم أقطاب التَّصوُّف الذين تَصدّروا لتربية المريدين، بتصحيحِ بدايات السالكين، وتوضيح الأُسس التي يقوم عليها الطريق، لأنَّ البداية كلما كانت أحْكَم، كانت النهاية أتَم.*[41]

---

[38] ـ قيل الرباط لجهاد النفس، والمُقيم في الرباط مرابط مجاهد لنفسهِ، من آداب الصوفية،والرباط بيتهم ومضربهم، ولكل قوم رباط وهو يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة،وأرباب الخلوة.

[39] ـ عوراف المعارف للسهروردي ص ١١١ .

[40] ـ منازل السائرين الهروي الأنصاري.

[41] ـ عوارف المعارف. للسهروردي.

وهناك ثلاث مواقف رئيسية، لا يسع السالك تجاوزها في سيرهِ إلى الله (عزّ وجلّ).

أولها موقف **الشرع**، والعلم، والعمل بقواعد الشريعة.

ثُمَّ مرحلة **الانتباه** وتصحيح المسار من خلالِ موقف التوبة.

وأخيراً يأتي موقف **التلقي** عن الشيخ المربي.

يقول الإمام الجيلاني:*[٤٢] لا يجب أن يكون في الطريقة، ولا في علم الحقيقة، شيء يُخالف آداب الشريعة.*[٤٣]

وعندهم كما أنَّ **النيّة** هي أول الشروع في العمل، **فالعقيدة** كذلك هي أول مقتضيات السلوك، والإسلام هو عقيدة التوحيد، فإذا صحت عقيدة العبد، وحسُنَ إسلامه بالإقتداء بمذهب المتقدمين من السلف الصالح، بقي عليه أول فروض الله تعالى على العباد وهو:

العلم، اتفق الصوفية على أنَّ العلمَ هو أولُ فرض فرضه الله على عبادهِ، واستدلوا بقوله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)**)(الذاريات).

قال ابن عباس: إلاَّ ليعرفون .

وبقول رسول الله (صلى الله عليه وآلهِ): طَلَبُ العلمِ فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ.*[٤٤]

[٤٢] ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني، صاحب الطريق القادرية.

[٤٣] ـ الغنية. للجيلاني.

[٤٤] ـ حلية الأولياء، للأصبهاني+ إحياء علوم الدين للغزالي.

ولقد أشار الصوفية إلى هذا العلم، فقالوا: العلم علمان، الأول ببذل المجهود. يريدون بذلك (العلم الأول) علوم الشريعة التي تستلزم المجاهدة في تحصيلها، وأمَّا (العلم الثاني) فهو يُلقى في القلب إلهاماً ومكاشفةً !...

وبعدما يُحصّل المبتدئ معارف الدين من علماء الشرع، ويتعرَّف على آدابِ الشريعةِ من سيرةِ النبي وصحابتهِ وتابعيهِ يكون بذلك قد أتمَّ الجانب النظري للبداية، وبقي عليه استكمال الدائرة!..يعني العمل.

واتفق الصوفية على أنَّ التوبة أوَّل منازل السالكين، وأوَّل مقام من مقامات الطالبين.*[٤٥]

الطريق الصوفي ليوسف زيدان

وذكروا أنَّه لابُدَّ للمتصوف أن يمرَّ بمقاماتِ ذكرها أبو طالب المكي، وهي :

١- التوبة ٢- الصبر ٣- الشكر ٤- الرجاء ٥- الخوف ٦- الزهد ٧- التوكل ٨- الرضا ٩- المحبة.

أمَّا الطوسي فعدها في كتابهِ اللمع سبعاً وهي:

١- التوبة ٢- الورع ٣- الزهد ٤- الفقر ٥- الصبر ٦- التوكل ٧- الرضا.

وذكر من الأحوال عشرة وهي: ١- التأمّل ٢- القرب ٣- المحبة ٤- الخوف ٥- الرجاء ٦- الشَّوق ٧- الأُنس ٨- الطمأنينة ٩- المشاهدة ١٠- اليقين.

[٤٥] - الرسالة القشيرية.

وقالوا: إنَّ الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب.

ويلخص ابن خلدون عناصر التصوف بأربعة وهي:

١- الكلام في المجاهدات، وما يحصل من الأذواق، والمواجيد، ومُحاسبة النفس على الأعمال.

٢- الكلام في الكشف المدركة من عالم الغيب.

٣- التَّصرُّفات في العوالم والأكوان وأنواع الكرامات.

٤- ألفاظ موهمة الظاهر(نطق بها أئمة القوم).

الفرق والمذاهب الإسلامية

****

شيخ الصوفية:

ـ للشيخ عند أهل التصوف مكانة خاصة، ويعتمد عليه المتصوفة لسلوك الطريق إلى الحق، وقد ثار جدل حول الاكتفاء بالكتب والاستغناء عن الشيوخ، وفي هذا الإطار يُسجِّل الشيخ السنوسي: (وأمّا الاكتفاء بالكتاب في سلوك الطريق دون الشيخ، فقد وقعت مشاجرة بين فقهاء الأندلس، وكتبوا كتاباً إلى الشيخ محمّد بن عباد ؟ فأجاب: بأنَّ ذلك يختلف باعتبار الأحوال، فشيخ التعليم تكتفي عنه الكتب لمن له عقل وذكاء وإلاَّ فلا، وشيخ الطريقة واجب متأكد(السلسبيل المعين).

وقد نُقِلَ عن الغزالي اعتباره (المريد بلا شيخ كالشجر بلا ثمر)(المنقذ من الضلال).

ونُقِلَ عن الإمام أحمد بن عباد قوله: لابُدَّ للمريد في هذا الطريق من صحبةِ شيخٍ مُحقّق، مُرشد قد فرغَ من تأديبِ نفسهِ وتخلَّصَ من هواه، فَيُسلّم نَفسَهُ إليه ويَلزَم طاعته، والانقياد إليه في كلِّ شيء من غير ارتياب ولا تردد، فقد قالوا: من لم يكن لديه شيخ فإنَّ الشيطان شيخه!! و يقول أبو علي الثقفي: لو أنَّ رجلاً جَمَعَ العلومَ كلها وصَحِبَ طوائفَ الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاَّ بالرياضة من شيخٍ أو مؤدبٍ ناصح. (طبقات الصوفية).

ويعتبر الصوفية أنَّ من لم يسلك على يدِ شيخ عارف، فلا يمكنه الترقّي إلى منازل القرب، ولو أتى لنفسه بعبادة الثقلين.

الطرق الصوفية

. فالشيخ عند الصوفية إذاً: هو المرشد الروحي الذي سلك طريق الحق، وعَرِفَ المخاوف والمهالك والحدود، فتولى تربية المريدين والإشارة إليهم بمستلزمات السلوك، ومقضيات الوصول على قربِ الخالق (عَجَلَّ)...ولابُدَّ أن يكون الشيخ قد أخذَ الطريقَ عن شيخٍ سابق، بحيث تتسلسل متابعته إلى رسول الله (ﷺوآلهِ).*[٤٦] ويكون قد ذاقَ حقائق الطريق وتخلق بأخلاق النبي (ﷺوآلهِ).

ويرى الإمام الجيلاني.*[٤٧] وسائر الصوفية: أنَّه لابُدَّ لكلِّ مُريد لله من شيخ، فالمشايخ هم الطريق إلى الله، والأدلاَّء عليه، والباب الذي يُدخل منه إليه.

ويقول: أنَّ الشيخ يختلف عن علماء الظاهر الذين يأخذ المبتدئ منهم علوم الشرع، حيث يمكن للسالك تلقي علوم وفنون الشريعة من جملة علماء،

أمَّا دقائق الطريقة فلا يدركها السالك إلاَّ بصحبة شيخ واحد، فلا يصحّ أن يتولى تربية المريد غير شيخ واحد في نفس الوقت...

ومن أهم الشروط الواجب توفرها في الشيخ: (معرفته بالعلوم الشرعية وإشارات الصوفية، بحيث يجمع بين الشريعة والحقيقة...

ونتابعُ عن الإمام الجيلاني قوله: وأن يكون مُستراحاً لمريديه، وكهفاً لهم وملاذاً، وخزانةً وحرزاً لأسرارهم).

وكان يقول للمبتدئ: يا غلام أصحب من يعاونك على جهادِ نفسك، لا من

---

[٤٦] ـ التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون.

[٤٧] ـ هو القطب الغوث أبو محمد محي الدين عبد القادر الكيلاني (الشافعي) و (الحنبلي) شيخ بغداد، الذي ولد في كيلان (جيلان) شمال إيران عام/٤٧١هـ وتوفي عام/٥٦١هـ

يعاونها عليك، إذا صَحِبتَ شيخاً جاهلاً منافقاً صاحب طبعٍ وهوى، كان معاوناً لها عليك، فالشيوخ لا يُصحَبون للدنيا بل يُصحَبون للآخرة، فإذا كان الشيخ صاحبَ طبع صُحِبَ للدنيا، وإذا كان صاحبَ قَلبٍ، صُحِبَ للآخرة، وإذا كان صاحب سَرٍّ صُحِبَ للمولى عزَّ وجلَّ.*[٤٨]

الطريق الصوفي يوسف زيدان

وجاء عند القشيري: من صَحِبَ شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة، ثم إنَّ الشيوخ قالوا: حقوق الأستاذين لا توبة منها.

الرسالة القشيرية

مهام الشيخ

يقول الجيلاني: أول ما ينبغي على الشيخِ تجاه المريد، أن يكون قبوله له لله عزَّ وجلَّ لا لنفسهِ، فما دام الشيخ زاهداً في المريدين وفي انتفاعِهِ بهم، وليس لهُ من تربيتهم إلاَّ القيام بأمر الله، فَهم لا محالة ينتفعون بكلامه...فإن طمع الشيخ فيهم، كان كلامه لهم قِشراً لا لبَّ فيه...

ويتابع في مكان آخر: ولا ينبغي للشيخ أن يأمل من اللهِ عوضاً في تأديب المريد، بل يؤدبه ويربيه موافقةً للهِ، وأداءً لأمرهِ وقبولاً لهديته...فالمريد الذي جاء للشيخ من غير تخيّر ولا استجلاب، هو هدية من الله...فعليه قبوله

[٤٨] - الفتح الرباني للجيلاني .

والإحسان إليه بتربيته.*[٤٩]

ويبدأ الشيخ تربيته للمُريد بحكم النصيحة، ويرعاه بعين الشفقة، فلا يأخذه أول الأمر بما لا طاقة له به من عزائم الأمور، وإنَّما يبدؤه بالرفق فإنَّ الرفق يؤنسه، فإن أَنِسَ الشيخُ منه إقبالاً وهمةً، أَمرهُ بالأشد من الأمور، فيأمرهُ أولاً بترك الطبع والهوى، ثُمَّ ينتقلُ به من الرخص الشرعية إلى عزائمِ الأمور شيئاً بعد شيء، فيمحو خصلة من الرخص ويثبت مكانها خصلة من العزيمة.*[٥٠]

ويتفرس الشيخ في مريدِهِ، ويتعرَّف على مواطنِ الآفات من نفسِهِ وآفات النفوس كثيرة فيدلَّهُ على الرياضاتِ الروحية التي بها تُبرؤ النفس من أمراضها...إلى أن يقول: وحينما يرى الشيخ في المريد خروجاً من آفات النفس، وصِدقاً في المجاهدة، وعَزماً على العروجِ إلى المقاماتِ العالية فحينئذٍ لا يُسامحهُ في شيء، ويأخذهُ بأشدِّ الرياضات والاختبارات.وقال في مُريديه:

أنا لمريديَ حافظٌ ما يخافهُ وأحرسهُ من كلِّ شرٍّ وفتنةِ
مُريدي إذا ما كان شرقاً ومغرباً أغثهُ إذا ما سارَ في أيِّ بلدةِ[٥١]

الطريق الصوفي

****

[٤٩] ـ الجيلاني،الغنية + جلاء الخاطر.
[٥٠] ـ الجيلاني، الغنية + الوصية.
[٥١] ـ الجيلاني، الغنية + الوصية + الديوان.

المُريد

المريد: هي تسميةٌ مشتقةٌ من الإرادة التي هي ترك ما جرت عليه العادة، ومفارقة حظوظ النفس، ونهوض القلب في طلب الحق.*[52]

أخلاق المُريد مع الشيخ:

قالوا: أول ما ينبغي على المريد حين يقصدَ شيخاً للتأدب به، والتلقي منه والتربي على يديه، أن يكون لهُ إيمانٌ وتصديقٌ واعتقادٌ، بأنَّهُ لا أحد في تلك الديار أولى من هذا الشيخ للانتفاع به،...فإذا صَاحبَهُ لم يلتفت لغيره من المشايخ، فإن تَفَرَقَ نظر المريد بين عدةِ مشايخ للطريق، من شأنه أن يبعده عن الاستفادة الكاملة من شيخه.

وقد ذَكَرَ الجيلاني أخلاقيات المريد مع شيخه، منها:

ـ الطاعة الظاهرة والباطنة. ويقول: مخالفة الشيوخ سُمٌّ قاتلٌ.

ـ الجلوس مع الشيخ على بساط الأدب.

ـ إطلاع الشيخ على أحوالِهِ، فلا يكتم عن شيخِهِ شيئاً.

ـ عدم اتهام الشيخ بإساءةٍ قلبية، مهما رأى فيه من أحوال، فقد تكون التهمة لقصور فهم المريد بحقيقة الحال.

[52] ـ الغنية،للجيلاني.

. التهيؤ الدائم لخدمة الشيخ، فلا يَرِدُّ له طلباً، بل يُسارع إلى تلبيةِ ما يُريده الشيخ، ولا يتعلل المريد بقضاء حاجاته الخاصة، فليس للمُريد الصادق همٌّ ولا ذهبٌ ولا مالٌ، بالإضافة إلى شيخه.

. الصدق في الصحبةِ لله، فلا يكون المريد مع شيخِهِ وقلبه مشغول بأهلِ الدنيا.

ويقول: إنَّ من أهم ما يتخلق به المريد مع شيخه، هو الصبر على خشونة الشيخ. وكان يقول لمريديه: (لا تهربوا من خشونةِ كلامي، فما رباني إلاَّ الخشن).

الطريق الصوفي

آداب المُريد مع الإخوان

تقول الصوفية: التصوف كله أدب.إذْ أَنَّ معاملة الخالق هي في حقيقةِ الأمرِ القيام معه بآداب العبودية.

نعود إلى كلام الجيلاني في هذه الآداب:

. الفتوة، والإيثار والصفح عن العثرات.

. التواضع والموافقة للإخوان وترك مخالفتهم ومنافرتهم، والبعد عن المجادلة معهم.

. التعامي عن عيوبهم، وحفظ قلوبهم باجتناب فعل ما يكرهونه.

. المحبة لهم والشفقة عليهم...فإن وجدَ في قلبه وحشة بحقِ أحدهم، فلا يُظهر له ذلك، ويظل على نفسه حتى تزول هذه الوحشة.

. أن لا يَرى المريد لنفسه حقاً على واحدٍ من إخوانه، ولا يطالب احدهم بحقٍّ، بل يرى لهم الحقوق عليه، فلا يقصّر في القيام بحق الأخوة فيهم.

الطريق الصوفي

وأيضاً من آداب الخلوة*[٥٣]

ما ذَكَرَهُ الصَّوفي المشهور الكمشخانوي.*[٥٤] فيقول:

للدخول في الخلوة آداب وشروط، منها :

١- أن يستأذن الشيخ في دخول الخلوة .

٢- أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلي فيها ركعتين قبل دخول المريد .

٣- أن يدخلها كما يدخل المسجد مقدّما رجله اليمنى، مبسملاً متعوذاً.

٤- أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار.

٥- أن لا يستند إلى جدار الخلوة .

٦- الصوم .

[٥٣] - الخلوة: مكان الاعتزال عن الخلق. ويقول الصوفية: هي محادثة السرّ مع الحق، حيث لا أحد ولا ملك.

[٥٤] - كتابه (جامع الأصول في الأولياء).

٧- أن يعتقد في نفسه أنَّه إنَّما يدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شرِّه.

٨- أن لا يتكلم مع أحدٍ في الخلوةِ أو خارجها إلاَّ مع شيخهِ .

٩- إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغطِّ رأسه ورقبته بشيء مُطرقاً إلى الأرضِ غير ناظرٍ إلى أحدٍ .

١- دوام تخيل صورة شيخه، وهو الرابطة بينه وبين خالقه...فإنَّه إذا هَمَّ بمعصيةٍ يتمثلُ لهُ الشيخ فينزجر عن فعلِها...الخ).*[٥٥]

وبمثل ذلك قال شيخ الأزهر السابق نقلاً عن سيدهِ **أحمد الدردير** أنَّه قال:

(فالآداب التي تُطلب من المريد في حَقِّ شيخه، أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه في أيّ شيء فعله، ولو كان ظاهره أنَّه الحرام، ويؤول ما أُبهِمَ عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، فلا يزور ولياً من أهل العصر، ولا صالحاً إلاَّ بإذنِهِ، ولا يحضر مجلس غيره إلاَّ بإذنِهِ، ولا يسمع من سواه حتى يتمَّ سقيه من ماء سرِّ شيخه).*[٥٦]

ويقول في آدَابِ المُريد:

[٥٥] - انظر جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي النقشبندي ط المطبعة الوهبية الشام ١٢٩٨ هـ.

[٥٦] - انظر كتاب سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١٩ ط دار الكتب الحديثة القاهرة .

(ومن آدابِ المريد للشيخ: أن لا يُكثر الكلام بحضرته ولو باسَطَهُ، ولا يجلس على سجادتِهِ، ولا يُسبِّح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعدَّ له، ولا يلحَّ عليه في أمر، ولا يُسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلاَّ بإذنه، ولا يمسك يده للسلام مثلاً ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب، بل يُسلّم بلسانِهِ، وينتظر بعد ذلك ما يأمر به، وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه في مشي، إلاَّ بليلٍ مظلم ليكون مشيه أمامهُ صوناً لَهُ من مصادفة ضرر، وأن يرى كل بركة حصلت لَهُ من بركات الدنيا والآخرة فببركته، ... وأن يصبر على جفوتِهِ وإعراضه عنه، ولا يقول: لِمَ فَعَلَ بفلان كذا ولم يفعل بي كذا، وإلاَّ لم يكن مُسلِّماً له قيادة إذْ أنَّ من أعظمِ الشروط تسليم قياده لَهُ ظاهراً وباطناً،...

وأن يجعل كلامه على ظاهره فيمتثله إلاَّ لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، فإذا قال له: اقرأ كذا، أو صلِّ كذا، أو صُم كذا وجب عليه المبادرة، وكذا إذا قال له وهو صائم: افطر وجب عليه الفطر، أو قال: لا تصلِّ كذا إلى غير ذلك،.... وأن لا يدخل عليه في خلوة إلاَّ بإذنه، وأن لا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلاَّ بإذنه وإلاَّ هلك كما وقع لكثير).*[٥٧]

[٥٧] ـ كتاب سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١٩ . ١٢٠ ، ١٢١ .

وأمَّا ما ذكره القشيري في أدب المُريد فقال:

(المبتدئ في الأحوالِ يجب أن يُسكّن حواسه، ولا تتحرك أنفاسهُ، ولا يُحرك بدنهُ، ولا يُحرك جزء منه، ولا يردد طرفهُ ولا شيئاً، ويكون مُراعيا لهمته، ولا يُحرك البتة جزءً من نفسِهِ، ولا من بدنِهِ، ولا من باطنه حتى تبدو الأحوال له بعد طول المراعاة، ثم يجب ألاَّ ينظر إليها ولا إلى ما يبدو له البتة لئلاَّ يُحجب عنها، فلا يزال في المزيد منها إن شاء الله تعالى.

ثمَّ قال: وهذا الطريق الذي هو طريق الله تعالى لا بدَّ فيه من طول المجاهدة ومقاساة ما تحتملهُ الأسماع والقلوب من الشدائدِ لو حلّت بها...ويقول عن نفسهِ: وكنتُ أحياناً في بدو المجاهدة وأحوال الذكر لو استتر مني في السماء، لكان الستر عليَّ أهون من أن أقوم للأكل، وأتحرك للوضوء والفرض، لأنَّه كان يعيب عني الذكر).*[58]

التصوف المنشأ والمصادر

****

[58] - رسالة ترتيب السلوك من الرسائل القشيرية ص ٧٦ ، ٧٧ ط المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية إسلام آباد باكستان .

مفارقة الشيخ

عن أوانِ وجوب انقطاع المريد عن الشيخ، يستخدم الجيلاني رمزية قول الرسول الكريم (ﷺوآلهِ): (لا رضاع بعد الحولين)،*[٥٩] ويرى أنَّ المريد متى صَحَّتْ لَهُ الصحبة مع الشيخ، وتأدَّب بآدابِ العبودية عليه، حتى وصل إلى حالٍ يمكِّنهُ معه مواصلةِ السير إلى قربِ الحقِّ...آنَ لَهُ عندئذٍ أن يفارق الشيخ وينقطع عنه...ولوقت المفارقة دلائل وإشارات.

أوَّلها فناء الهوى من قلبِ السالك.

ثُمَّ هجرة الدنيا بالكلية . فإن كان شيء منها بيده، لا يكون في قلبه.

ثُمَّ صدق إقباله على الله، حتى يُقبل الله عليه ببعض أسراره...وحين يقف السالك على السبيل الذي يدلّه الحق تعالى ويهديه إليه، يكون المولى عزَّ وجل قد أراد أن يفطمه عن الخلق جملةً، فحينئذ يُقطَعُ عن الشيخ قطعاً. (الغنية للجيلاني).

الطريق الصوفي

****

[٥٩] - السنن الكبرى للبيهقي.

السماع

. قد يُطلق ويُراد بهِ الإدراك، كما في الإدراك بحاسةِ الأُذن، وقد يُطلق ويُرادُ بهِ الانقياد والطاعة.*[٦٠]

. هو حقيقة الانتباه لكلٍ بحسب نصيبهِ، فهو- أعني السماع — حادٍ يحدو بكلِ أحدٍ إلى وطنهِ، أي كلّ أحد منه إلى المقصود الخاص.*[٦١]

. سُئلَ الشبلي عن السماع ؟ فقال: ظاهرهُ فتنة، وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حلَّ لهُ استماع العبرة، وإلاَّ فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية.*[٦٢]

. وعن أبي علي الدقاق قال: السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مُباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مُستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم.*[٦٣]

. وجاء عن الشعراني أنَّهُ قال: سماعك من شيخك كلمة أدب في لحظة واحدة أفضل من أدب أبيك لك، ومعلمك في الأدب الظاهر عشرين سنة، وذلك لأنَّ العارف يؤدب روحك، وغيره يؤدب نفسك، وإيضاح ذلك أنَّ معلم الروح أعلى من معلم النفس.*[٦٤]

---

[٦٠] ـ الكلّيات.

[٦١] ـ لطائف الإعلام.

[٦٢] ـ الرسالة القشيرية.

[٦٣] ـ الرسالة القشيرية. توفي الدقاق سنة/٤١٠/هـ.

[٦٤] ـ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني المُتوفى/٨٩٨/هـ.

مَرَاتِبُ الصّوفيَّة

وأمَّا مراتب الصوفية، التي وضعوها لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، وأعدادهم.

وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب:

خواصّ الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده:

(الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث). *[٦٥]

أمَّا عند الهجويري هم:

(أهل الحلِّ والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يُسمّون الأبدال، وسبعة آخرون يُقالُ لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يُقالُ لهم: النقباء، وواحد يُسمى القطب*[٦٦] والغوث، وهؤلاء جميعاً يَعرفُ أَحدُهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذنِ بعضهم البعض). *[٦٧]

[٦٥] ـ انظر روضة التعريف ص ٤٣٢ .

[٦٦] ـ يقول الجيلاني: هو حامل لواء العز، ومنتضي سقف القدرة، وحاكم دست الوقت، وولي عهد التولية والعزل..فلا مرقى للأولياء فوق مرقاه.(مقالة وصف القطب الديوان).

[٦٧] ـ كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

. ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته:

(**القطب وهو** (**الغوث**): عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمانٍ ومكان ، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

الإمامان: هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم من موضعه وترك جسداً على صورتِهِ حتى لا يعرف أحد أنَّه فُقِدَ، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

النجباء: أربعون، وهم المشغولون بحملِ أثقال الخلق فلا يترفون إلاَّ في حق الغير.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة).*[٦٨]

التصوف المنشأ والمصادر

---

[٦٨] ـ التعريفات للجرجاني ص ١٥٤ .

وجاء عند القاشاني:*[٦٩]

القطبية الكبرى: وهي مرتبة قطب الأقطاب، فإنَّ أقطاب الأمم الخالية ليست لهم هذه القطبية الكبرى، لأنَّها وراثة محمّدية، فكما أنَّهُ هو (ﷺوآلهِ) صاحب الدعوة العامة، والرسالة الشاملة لجميع العاملين، فكذا ورثته (ﷺوآلهِ) هم أصحاب القطبية الكبرى، وأيضاً فإنَّ لكل مرتبة من مراتب الولاية قطباً، وهو الحاصل في ذروتها، وقطب الأقطاب: مَنْ ليس وراء مرتبته إلاَّ النبوة العامة، وهو رأس الصديقين كما عَرَّفتُ ذلك، و هو مَنْ لهُ من مراتب الولاية أعلاها.

لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام

. إذاً فقد رتَّبَ الصوفية أوليائهم حسب أهميتهم على الشكل التالي:

١- القطب.

٢- الأوتاد.

٣- الأبدال وعددهم أربعون.

٤- النجباء وهم الذين يحملون عن الخلق أثقالهم.

٥- النقباء.

هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل

****

[٦٩] ـ الشيخ العلامة عبد الرزاق بن أحمد بن محمد القاشاني المتوفى سنة٧٣٠هـ.

الولاية

الولاية: هي تَمَلّك الأشياء والتصرّف فيها، فكان في أسمائهِ تعالى (الوَليُّ ـ الوَالي) لأنَّهُ تعالى المتولي أمور الخلق، المالك المتصرف في الأشياء جميعاً.*[٧٠]

وللحكيم الترمذي*[٧١] كلام عن مفهوم الولاية عند الصوفية، فهو من كبار أهل التصوف الذين عنوا بتحديد هذا المفهوم بكل دقة، ولقد أورد.د.عثمان يحيى قائلاً: ولعلَّهُ أول من فرَّقَ هذهِ التفرقة الذوقية بين أولياء حقّ الله، وأولياء الله...فبرغم أنَّ كلاهما داخلٌ في دائرة الولاية لله، إلاَّ أنَّ وَليَّ حَقِّ الله هو القائم برعاية الحقوق وحفظ الجوارح وجهاد النفس، أمَّا وَليّ الله فهو الذي فُتِحَ لَهُ الطريق، وأشرق النور في قلبهِ بحكم: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)**)(العنكبوت). وقد قسَّمَ طبقات الأولياء إلى أربعة وهم:

١- طبقة الصَّادقين. ٢- طبقة الصدِّيقين. ٣- طبقة المقرَّبين. ٤- طبقة المنفردين. ولقد أورد الدكتور عثمان يحيى، قائلاً: في القرن الهجري الأول كانت مفاهيم الولاية مرتبطة بظاهر النص القرآني، فنجد الحديث الشريف الذي يرويه أبو مالك الأشجعي أنَّ الأولياء هم: نَفَرٌ من أبناء الناس ونُزَّاع القبائل، تَحابوا في الله، وتصافوا في الله، تُوضع لهم يوم القيامةِ منابر من نور، يفزعُ الناسُ وهم لا يفزعون، فَهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.*[٧٢] ويقول ذو

[٧٠] ـ لسان العرب لأبن منظور.

[٧١] ـ هو الإمام محمد بن علي بن الحسن(عبد الله الحكيم الترمذي) المتوفى سنة/٣٢٠هـ/.

[٧٢]ـ الملحق التاريخي لكتاب ختم الأولياء،للدكتور عثمان يحيى.

النون المصري في الولاية والأولياء: إنَّ للهِ عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحزناً، فَجَنّوا من غير جنون، وتبلدوا من غير عيٍّ ولا بكم، وإنَّهم لَهُمُ البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسولهِ...ثُمَّ شربوا بكأس الصفا...وعبروا جسور الهوى...حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العزّ.*[٧٣] وقال داود القيصري في الولاية: إعلم أنَّ الولايةَ مأخوذَةٌ مِنَ الولي، وهو القربُ، ولذلك يُسمَّى الحبيبُ ولياً...وهي عامةٌ وخاصَّةٌ، العامةُ: حاصلَةٌ لِكُلِّ مَنْ آمنَ باللهِ وَعَمِلَ صالحِاً، والخاصةُ: هي الفناءُ في الله ذاتاً وصفةً وفِعلاً...وهي عَطَائِيةٌ وكسبيةٌ، فالعطائيةُ: تَحصلُ بالانجذاب إلى الحضرةِ الرحمانيةِ قبلَ المجاهدةِ، والكسبيةُ: ما يحصُلُ بالانجذاب إليها بعد المجاهدة.*[٧٤]

الطريق الصوفي

ـ قال ابن عربي:(إنَّ من شرط الإمام الباطن (يعني الولي) أَنْ يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره مقام العصمة).*[٧٥]

ـ وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: (إنَّ من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة).*[٧٦]

[٧٣]ـ نشر المحاسن الغالية لليافعي.

[٧٤]ـ شرح مقدمة التائية الكبرى لداؤد القيصري.

[٧٥]ـ الفتوحات المكية لابن عربي ج ٣ ص ١٨٣ .

[٧٦] ـ كتاب القصد للشاذلي المنقول من كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) ج ١ ص ٤١٧ .

. وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر محمّد الدينوري أنَّه سُئِلَ عن علامة الصوفي ما هي ؟ فقال: (أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوماً عن المذمومات).*[٧٧]

. وعن أبي بكر الواسطي المتوفى ٣٢٠هـ أنَّه قَسَّم المتصوفة على ثلاثة أقسام، فقال: (الناس على ثلاث طبقات، **الطبقة الأولى**: منَّ الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق. **والطبقة الثانية**: منَّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون من الصغائر والكبائر. **والطبقة الثالثة**: منَّ الله عليهم بالكفاية فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الفضيلة).* [٧٨]

. ويقول عبد القاهر السهروردي في عوارفه:

(الشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أنَّ جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أنَّ رسول الله (ﷺوآلهِ) لا ينطق عن الهوى، فالشيخُ مقتدٍ برسول الله (ﷺوآلهِ) ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس).*[٧٩] لأنَّ الشيخ هو العارف (والعرف معدن علم الله، مرضع أرواح الطالبين بنفسه، صحف أسرار ربّ العالمين بروحه، العارف وإن كان

---

[٧٧] ـ طبقات الصوفية للسلمي ص ١٠٩ ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠ هـ.

[٧٨] ـ انظر غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي ج١ ص ١٦٠ .

[٧٩] ـ عوارف المعارف للسهروردي ص ٤٠٤ ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣م.

بدوياً وحشياً فهو معدن العقل والعلم).* [٨٠] وهم معصومون (لأنَّهم أطفال في حجرِ الحق،*[٨١] "كالأب الشفيق"،*[٨٢] أو "كولد اللبوة في حجرها").*[٨٣]

- يقول الاحسائي:*[٨٤] العصمة في الاصطلاح على ما اختاره العدلية: هي اللطف المانع للمُكلف من تركِ الواجبات و فعل المحرمات، يفعله الله به غير سالب للقدرة، على خلاف مقتضى ذلك اللطف، وإلاَّ لم يكن مُكلفاً و لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، بل ذلك اللطف مُوجب لسلب الداعية المستلزمة لأحدهما.

وعند الأشاعرة: العصمة ألَّا يخلق الله في المعصوم ذنباً، كالكفر وسائر الكبائر، ومن الصغائر الدالة على الدناءةِ والخسة والرذالة، كسرقَةِ حبةٍ، أو لقمة مما يُنسبُ فاعلَهُ إلى الدناءةِ والخسةِ و الرذالة، وذلك بناء على أصلهم من استنادِ جميع الأشياء كلها إلى القادر المختار.

و عند الحكماء: العصمة ملكةٌ تمنع الفجور، ناشبة من العلم بمثالب المعاصي و مناقب الطاعات، و تتأكد في الأنبياء بتتابع الوحي إليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغي و النواهي الزاجرة عما لا ينبغي. (رسالة العصمة للاحسائي)

---

[٨٠] ـ مناقب العارفين للأفلاكي ج ١ ص ٢٨٦

[٨١] ـ التعرف للكلاباذي ص ١١٠ .

[٨٢] ـ الأخلاق المتبولية للشعراني ج ٣ ص ٢٦١ .

[٨٣] ـ طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٢ .

[٨٤] ـ الشيخ احمد بن زين‌الدين الاحسائي)(مُتكلم شيعي، صاحب مذهب الشيخيّة.ت سنة/١٨٢٦م

١. الطريقة الخصيبية

أسَّسها الشيخ

"أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي"

تولى الشيخ الخصيبي شؤون (**الطريقة الجنبلانية**) بعد وفاة شيخه أبي محمّد عبد الله الجنّان الجنبلاني الفارسي (رضي الله عنه)، صاحب الطريقة الجنبلانية، (الذي ولد في سنة (٢٣٥) هـ (٨٥٠م) وتوفي سنة (٢٨٧) هـ (٩٠١م)).(وسُميت بَعدهُ بالطريقةِ الخصيبية، وهي نفس الطريقة الجنبلانية تَغيَّر اسمها فقط). بنى الشيخ الجنَّان الجنبلاني طريقته وتابعه تلميذه الخصيبي (رضي الله عنهما)، على وصايا وتعاليم رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآلهِ) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) في التزام الشريعة المحمّدية بكل تعاليمها.

. **فلا إسلام ولا دين عنده بلا أدب، فكان للأدب الحصة الأولى في سلوك المُريدين**، لأنَّ الله (جل جلاله) أدَّب نبيه وصفيِّه بقولهِ سبحانه:

(**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** (٤))(القلم). كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام).*[٨٥]

. وكما ورد عنه (عليه السلام) أيضاً أنَّه قال: أدب الدين قبل الدين.

. وقال (عليه السلام): من لا أدب له لا دين له.

[٨٥] ـ أصول الكافي.

. وقال (عليه السلام): إنَّ قليلاً من العلم مع كثير من الأدب خير من كثير من العلم مع قليل من الأدب.

. و قال (عليه السلام): دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلاَّ فإنَّهُ ممن لا خير فيه.*[86]

. وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): الأدب صورة العقل.*[87]

. وقال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): لا أدب لمن لا عقل له.*[88]

. وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب، والنفس تجري في ميدان المخالفة، والعبد يجهدُ بردِّها عن سوء المطالبة، فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها، ومن أعان نفسه في هوى نفسه أشرك نفسه في قتل نفسه .*[89]

. قال الإمام علي (عليه السلام) يوصي ابنه الحسن (عليه السلام): إنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتُكَ بالأدبِ قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك.*[90]

---

[86] ـ ميزان الحكمة. بحار الأنوار.

[87] ـ غرر الحكم ودرر الكلم.

[88] ـ غرر الحكم ودرر الكلم.

[89] ـ مشكاة الأنوار.

[90] ـ نهج البلاغة.

. {يقول الشيخ الشيرازي*[٩١]: إنَّما قدَّم الأدب الذي هو الفرع، على الدين الذي هو الأصل لأسباب التَّعلم قبل المعرفة. ومن الآداب الواجبة على المريد أيضاً: تعظيم المريد للشيخ في طلبهِ منه المعرفة، إذْ هو سبيله الدَّال على ديانتِهِ ومرشده إلى إيمانه، ...فلا يخالف له أمراً، ولا يفشي له سِرَّاً، ولا يهتك له سِتراً، ولا يردُّ عليه قولاً، ولا يوغر لَهُ صدراً، ولا يقبّح له ذِكراً، ولا يشكُّ فيما يُلقي إليه، ولا يوالي له عدواً، ولا يعادي لهُ ولياً، ولا يردُّ ما يلقي إليه من معرفة الله (عَجَلَّ)... وعليهِ صون السرِّ وإدمان الذّكر، وإنجاز الوعد، وحفظ العهد، وقول الصدق، وفصل الحقّ، وأن لا يسعى بمؤمنٍ، ولا يسيء إلى محسن، ولا يَستحل مُحرَّماً، ولا يَهتك للمؤمنين حرماً، وأن يحفظ ذمَّتهم، ويرفض مذمَّتهم وأن يجعل صدقته لِسُؤالهم، ورأفته لأطفالِهم، وحرصهُ على سرورهم، ومراعاته لهم في أمورهم، وإيثارهم على نفسه. فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أخذَ علمنا بالقبول فتح الله عليه بمعرفة الحديث الواحد عشرة أحاديث حتى يعود فقيهاً؛ ومن أخذ علمنا بالمكرِ وحرَّف فيه برأيه وتدبيره صَرَفَهُ الله عنهُ صَرْفَ دامية المعز من الذئب الأذل، فلا يزداد من المعرفة إلاَّ بُعداً، ومن صبر على تصديق ما أوردهُ عليه سيده ويلقيه من معرفة الله إليه وقابله بالقبول فتح الله عليه أبواب معرفته ووفقه للإطلاع على حقيقة سره وعلانيته وأتضح له دليل البرهان، وظهر فيه نور

[٩١] ـ من أعلام العلويين ولد سنة/٧٠٠هـ وتوفي سنة/٧٦٦هـ. (إخوان الصفا والتوحيد العلوي، محمد الحمد).

الإيمان ودخل في زمرة من هداهم الله إليه برحمته)، وذكر وصفهم في كتاب الله العزيز بقوله الحق: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)**﴾(العنكبوت). وقد ورد في الخبر أنَّه قيل: (الآباء ثلاثة:- أبٌ أولدك، وأبٌ ربَّاك، وأبٌ عَلَّمك، وخيرهم هو الذي علّمك وأفاض عليك معرفة الله تعالى، وهو الأبُ الديني الحقيقي فألزمه ترشد، وأطعه تسعد)*[٩٢]

وقد قال السيد الرسول (ﷺوآلهِ) لأمير المؤمنين علي (عليه السلام): (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة، فلعن الله عاقَّ والديه).*[٩٣]

ولقد أنشدني بعضهم شعراً:

إنَّا وآباءَنَا الّذِين هُـمُ   قد أوقعونا في ورطة التَّلفِ

مَن علَّمَ العِلمَ كان خير أبٍ   ذاك أبو الرُّوح لا أبو النُطفِ

---

[٩٢] ـ قال الشهيد الثاني في رسالة « منية المريد في آداب المفيد و المستفيد »: و قد روي أنَّ السيد الرضي الموسوي (رضي الله عنه) كان عظيم النفس عالي الهمة أَبيُّ الطبع لا يقبل لأحدٍ منة، و له في ذلك قصص غريبة مع الخليفة العباسي حين أراد جلبه بسبب مولود ولد له، و منها أن بعض مشايخه قال له يوما: بلغني أنَّ دارك ضيقة لا تليق بحالك، و لي دار واسعة صالحة لك قد وهبتها لك فانتقل إليها. فأبى، و أعادَ عليه الكلام فقال: يا شيخ أنا لم أقبل بِرَّ أبي!! فكيف أقبل من غيره. فقال له الشيخ: أنا حقّي عليك أعظم من حقِّ أبيك لأنَّي أبوك الروحاني و هو أبوك الجسماني . فقال له السيد « ره »: قبلتُ الدارَ .و من هنا قال بعض الفضلاء :

من علم العلم كان خير أب   ذلك أبو الروح لا أبو النطف.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (للراوندي)

[٩٣] ـ تفسير الصافي. موسوعة الإمام علي. بحار الأنوار.

ومن جملةِ الآداب أيضاً: رَفضُ القِياس، فهو الذي أوجَبَ تَشَعُّبَ الآراء، وبسببهِ تفرَّقَتِ الأهواء فأوَّل مَن قاسَ إبليس (لعنهُ الله) حيث أمرهُ الله تعالى بالسُّجود لآدم (عليه السلام) فأبى وأستكبر كما قال الله تعالى: (**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)**)(ص). فكان جزاؤه الحرمان من المعرفة والبعد والطّرد من الرَّحمة، ولبعد المعرفة عن طريق القياس حصل التَّعجُّب مِن سالِكها، ولوضوح أمرها بظهور الدَّلائل عليها والإشارات إليها في الآراء كلّها حصل العجبُ مِن تاركها، كما قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) في هذا المعنى نظماً وهو هذا:

عَلَمُ المِحَجَّةِ واضِحٌ لمرِيدِهِ ... وأرى القُلُوبَ عن المحجَّةِ في عمى
ولقد عَجبتُ لِهالكٍ ونجاته ... موجودةٌ ولقد عجبت لمن نجا

فإن مَنَّ الله على الطالب ووصل بفضله سبب معرفته إليه وتلقاه من سيده بالقبول وخزنه في صدره، وجعله عمدة أمره،.....لحِقَ بمن وَصَفَهُم رسول الله (صلى الله عليه وآلهِ).بقولهِ: المؤمن صائمٌ أبداً...الخ. ومن جملة الآداب الدينية أيضاً التَّخلُّق بأخلاقِ المؤمنين، وهو أن يلزمَ الطَّالبُ الصَّمتَ بين الأنامِ، حتى لا يَزِلَّ في القولِ والفعل والكلام، ويترك الهوى، ويتقمص بلباسِ التَّقيَّة والتَّقوى، وأن يجمّل صورتَهُ بالوقار، ويرديِّها بالمجد والافتخار، ويهذبَّها بتوطئةِ الأخلاق، ويطهِّرها من

دنس الخلاف والنفاق، ويحليِّها بالطاعة والوفاق، ويزيِّنها بحسن الأمانة وبترك الخيانة، ويُعودِها صدق اللسان، والمحافظة على الإخوان، ويحصِّنها بدرعِ الشريعةِ، وينزِّهها عن أفعالِ الطبيعة، ويُقبل على الدينِ بقلبٍ سليم تقي، وفكر صافٍ نقي، وعقلٍ وافٍ ذكي، ويكتم أسراره، ويواظب على معرفة شروطه وأوضاعه، ويديم النَّظر فيه، ويكرّره بستره ليعرف مقاصده ومعانيه، ويدقق السؤال، ويشقق اللفظ والمقال، ويخضع لمن أنعم عليه ويطيع من أحسن إليه، ويفي بالعهد والميثاق، ويُحسن بين الأمة السِّياسَة لا لبيان الرِّفعة والرّئاسة، ويدعو إلى الحقِ بحسن أفعاله وشرف أعماله، ويكون من الخير قريباً، وعن الشّرِّ بعيداً، ويدفع ما عليه من مالهِ للإخوان، ويقرُّ بفضلِ من مضى من أهل الإيمان... ويصدّق بعلم ما يأتي غداً من الموعود، ويعتقد ما سَمِعَهُ من الحكمةِ وتَصَوَّرَهُ وَعَرِفَهُ، ويعلم أنَّ تحتهُ دقائق في ضمنِها حقائق، ولا يتوَهَّم أنَّهُ قد وصلَ منهُ إلى الغاية، وَلاَ أنَّهُ قد بلغَ النهاية، ويسأل عنهُ ربّ الحكمة في الخلوات، فتُفتح لهُ أبواب السعادات، وما يعجز عنه فهمه، ويقصر تصوره فيه ووهمه فليردَّه إلى وليّ النّعمة، فيكشف له منه حقائق الحكمة، وليحذر أن يأخذهُ فيه شكّ، أو يعترض له معترض فإنَّ الاعتراض يحدث المرض في القلوب، والتسليم من صحة اليقين، فعليه بالتسليم والرضا لوليّ أمره وإمام عصره فإنَّهُ قاعدة الدّين، وركن معرفة اليقين، وليتجنب المِرَاء والرّياء، والحقد والحسد والكبرياء، فإنَّهُ فعل إبليس الَّلعين في بدء الأمر، وإياهُّ المكر والخداع والابتداع والكذب،

فإنَّهُ حيض الرِّجال، وأنجس الأفعال، وأخبث الأقوال فلا يُجرِه على لِسانهِ، ولا يعتمدهُ في مقالهِ، وإيَّاهُ القذف والبهتان فإنَّهما يجانبان الإيمان}.*[94]

. **وقالَ الشيخ الجلي وصيّ الخصيبي** (قُدّسَ سِرَّهما):*[95]

لَعَمْـرُكَ مـا الإنسـانُ إلاَّ بدينـهِ فلا تترُكِ التقوى اتكالاً على النسبْ
لقـد رفـعَ الإسـلامُ سـلمانَ فـارسٍ وقـد وضَـع الشِّـركُ الشـريف أبـا لهـبْ
ألم تـرَ أنَّ اللَّـه أوحـى لمـريمٍ وهُـزي إليـكِ الجِـذعَ يتسـاقطُ الرَّطَـبْ
ولو شاءَ أحنى الجِذعَ مِنْ غيرِ هزِّهِ إليهـا ولكـنَّ الأمـورَ لهـا سَـببْ

. أيضاً اشترط الخصيبي على مريدي طريقته حفظ القرآن الكريم، وخفَّفَ تلامذته الأمر بعدَهُ إلى حفظ الجزء المفصَّل منهُ.

واستدلَّ بقولهِ تعالى: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** (٩))(الإسراء).

وبقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (فَاللَّهَ اَللَّهَ أَيُّهَا اَلنَّاسُ فِيمَا اِسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاِسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمىً، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ اَلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ، دِينَهُ اَلَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ

---

[94] ـ للشيرازي أحد أعلام الطريقة الخصيبية.

[95] ـ وينسبُ هذا الشعر لأمير المؤمنين علي(عليه السلام)، لأنَّهُ يُوجد قسمٌ منه في ديوانهِ.

عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ اَلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ اَلْمَعْذِرَةَ وَاِتَّخَذَ عَلَيْكُمُ اَلْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.*[٩٦]

<u>وبقولهِ أيضاً</u>: عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اَللَّهِ فَإِنَّهُ اَلْحَبْلُ اَلْمَتِينُ، وَاَلنُّورُ اَلْمُبِينُ، وَاَلشِّفَاءُ اَلنَّافِعُ وَاَلرِّيُّ اَلنَّاقِعُ وَاَلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَاَلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ اَلرَّدِّ وَوُلُوجُ اَلسَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.*[٩٧]

. وحضَّهم أيضاً على الاقتداء برسول الله (ﷺوآلهِ) وآلهِ الأطهار (عليهم السلام)، وطاعتهم لقولِ الحقِّ تعالى:

﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** (٢١)﴾(الأحزاب).

وقوله: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (١٣٢)﴾(آل عمران).

وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** (٥٩)﴾(النساء).

وقوله: ﴿ **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (٧)﴾(الحشر).

---

[٩٦]- نهج البلاغة.

[٩٧] - نهج البلاغة.

وقوله: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** (٨٠)﴾(النساء).

. وحضَّهم أيضاً على التَعلّم وطلب العلم:

واستدلَّ بقولهِ تعالى: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (٩)﴾(الزمر).

وبقولهِ سبحانهُ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (٥٦)﴾(الذاريات).

جاء عن ابن عباس: أي ليعرفون.

وبقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

تعلّموا العلم، فانَّ تعلّمه حسنة، و مدارسته تسبيح،والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو عند اللّه لأهله قربة، لأنّه معالم الحلال و الحرام وسالك بطالبه سبيل الجنّة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاّء، يرفع اللّه به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنَّ العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوّة الأبدان من الضعف، ينزل اللّه حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، وبالعلم يطاع اللّه ويعبد، بالعلم يعرف اللّه ويوحّد، بالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم
إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه اللّه السعداء ويحرمه الأشقياء.*[٩٨]

[٩٨] - نهج البلاغة.

وقالَ الإمام عليُّ بنُ الحسينِ سيدُ العابدينَ (الَّيْلاَ): مجالسةِ الصالحينَ داعيةٌ إلى الصلاحِ، وطاعةُ ولاةِ العدل تمامُ العزِّ ، وإرشادُ المسترشدِ قضاءٌ لحقِّ النعمةِ، وآدابُ العلماءِ زيادةٌ في العقلِ، وكفُّ الأذى تمامُ الفضلِ.*[٩٩]

. وحضَّهم أيضاً على إقامة الفرائض والسنن والعمل بالعلم:

مستدلاً بقول أمير المؤمنين علي (الَّيْلاَ) في إحدى خطبهِ:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ اَلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، اَلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَاَلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ اَلْإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ اَلْإِخْلاَصِ، فَإِنَّهَا اَلْفِطْرَةُ وَإِقَامُة اَلصَّلاَةِ فَإِنَّهَا اَلْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ اَلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ اَلْعِقَابِ، وَحَجُّ اَلْبَيْتِ وَاِعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ اَلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ اَلذَّنْبَ، وَصِلَةُ اَلرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي اَلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي اَلْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ اَلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ اَلْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ اَلْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ اَلسُّوءِ، وَصَنَائِعُ اَلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ اَلْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اَللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلذِّكْرِ، وَاِرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ اَلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ اَلْوَعْدِ، وَاِقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ اَلْهَدْيِ وَاِسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى اَلسُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا اَلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ اَلْقُلُوبِ، وَاِسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ اَلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ

[٩٩] ـ الكافي، بحار الأنوار.

اَلْقَصَصِ، وَإِنَّ اَلْعَالِمَ اَلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ اَلْحَائِرِ اَلَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ اَلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَاَلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اَللَّهِ أَلْوَمُ.*[100]

. وقال الخصيبي (رضي الله عنه): وقَدْ وَجَدْنا في العَالِمِ الَّذي أبانَ فَضلهُ ومَنْزِلتهُ أنَّهُ كانَ لَهُ سَبَبٌ بَلَغَ بِهِ تِلْكَ الغايَةَ العُظْمى، في قولِهِ تَعالى: (**فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ (٨٦)**)(الكهف). وهذا مِمَّا يَجِبُ أنْ يَحْسُنَ قبولهُ والتَّسليمِ لهُ، وذلِكَ لأنَّ العَالِمَ الكَبير والسَّيّد العَظيم أوْجَدَ أنَّهُ اتَّبَعَ سَبَباً، وكانَ لَهُ سَبَبٌ أوْصَلهُ إلى تِلكَ الغايَة العُظْمى، فَأَلْزَمَ العَالمَ جَميعاً أنْ يَطلبوا لَهُم سَبَباً لِنَجاتِهِم، وخَلاصِهِم، ويَبْلُغوا بِهِ إلى وَحدانيَّةِ الله، ومَنْ لَمْ يَجِدْ لَهُ سَبَباً بَقيَ في التِّيهِ والحِيرَةِ، فَلْيَقْصُدْ كُلُّ إنْسانٍ مَنْ يَعْلَمُ أنَّهُ فَوقهُ في العِلمِ، وأَرْفَعُ في المعْرِفَةِ، ويَجعَلهُ سَبَبهُ في الوصولِ إلى مَعرِفَةِ ما قَدْ عَرِفَ حَتَّى يَعرِّفَهُ، فَإذا عَرَّفَهُ ذلِكَ فَقَدْ خَلَّصَهُ، ولا يُداخِلُ أَحَدَكُم كِبَرٌ أنْ يَقصُدَ العِلمَ الباطِنَ حَيثُ كانَ مِنْ مَعادِنِ اللهِ (عزّ وجلّ). فقَدْ روينا عن العالم (الإمام الباقر) (عليه السلام) أنَّهُ قالَ: خُذوا العِلمَ ولَوْ عنِ المزابِلِ.*[101] وقالَ رسول الله (صلى الله عليه وآلِهِ): اطلبوا العِلمَ ولوْ في الصِّين.*[102] وقالَ

[100] - نهج البلاغة.

[101] - عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام)خذوا العلم ممن عنده ولا تنظروا إلى عمله.(بحار الأنوار).

[102] - روضة الواعظين.يقول(صلى الله عليه وآلِهِ): اطلبوا العلم ولو بالصين، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(التَلَيْكِلاِ): لَرُبَّ ذي طَمرينِ رَثَّين لوْ أَقسَمَ على اللهِ لأبَرَّ قَسمهُ.*[١٠٣] فيَجبُ أنْ تَعلَمَ ما أرادَ بذلِكَ كُلّهِ ولا يَشتَكِلَ عليكَ وتتأَوَّل فيهِ فتَهلَك، وهوَ أنْ يَكونَ رجلٌ أرَثَّ منكَ حالاً، وأنقَص في المَنْزِلةِ منكَ في دُنياهُ، وهوَ معَ ذلِكَ رفيعٌ في دِينهِ مُنفردٌ لا يَعرفهُ الشَّاكُّونَ ولا يُثبِتهُ الجاهِلون، فإنَّ ذلِكَ هوَ الَّذي لوْ أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّ قسَمهُ.

وقَدْ رُويَ عنِ العالِمِ (التَلَيْكِلاِ) فيهِ أنَّهُ قالَ: لوْ أنَّ ذلِكَ العَبد أقسَمَ على اللهِ أنْ لا يَخلَقَ سماءً ولا أرضاً، وأنْ لا تقومَ السَّاعةُ، وأنْ لا يُعذِّبَ العِباد، وأنْ يُخرِجَ أهل النَّارِ منها لأَجَابهُ، ولكِنَّ ذلِكَ العَبد قدْ أعطاهُ اللهُ من معرفَةِ هذا العَالَمِ فهوَ لا يَرحَمُ أهلَ النَّارِ، فيَسأَلُ اللهَ أنْ لا يُعذِّبهُم، بلْ يُحِبُّ لهُم الزِّيادة من ذلِكَ العَذابِ، وهوَ لا يُحِبُّ أنْ يرحَمَ أهلَ الجَحودِ لِوحدانيَّةِ اللهِ فهوَ لا يَسألُ اللهَ أنْ يرحمهُم، وهوَ يُحِبُّ كونَ السَّماواتِ والأرضِ لأنَّهُ قَدْ عَرفِها وأقرَّ بها فهوَ يسألُ اللهَ أنْ يُكوِّنها، وكذلِكَ جميع ما قَدْ عَلِمهُ منْ باطِنِ ما شرحناهُ يَعلمُ أنَّهُ طاعةً فهوَ لا يُحِبُّ أنْ يأتي فيها بالمعصيّةِ.

فاقتِباسُ العلمِ وطلبُهُ مفروضٌ على الطَّالِبين المريدين أنْ يأخذوهُ منْ حيثُ وجدوهُ، وأنْ يُعظِّموا أهلهُ ويَطلِبوهُ منهُم باللّينِ والرَّغبةِ فإنَّهُم قَدْ أُمِروا بكتمانِ ما أُلقيَ إليهِم وحَفظهِ ومنعُ منْ جاءَهُم بِغيرِ إيناسِ رُشدٍ وَأَمَرَهم، فقالَ تعالى:

---

[١٠٣] - روضة الواعظين.يقول الإمام علي (التَلَيْكِلاِ):رب أشعث اغبر ذي طمرين مدقع بالأبواب لو اقسم على الله لأبره .

(**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**) وهُوَ العِلمُ (**وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا**(٦))(النساء). ومَعنى ذلِكَ لا تكتُموهُم إيَّاها. وقالَ: (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (١٠))(النساء). وأموالُ اليتامى هيَ العِلمُ الباطِنُ، واليَتيمُ في هذا الموضِع هوَ الَّذي زالَ عنهُ الَّذي بَوَّأَهُ العِلمَ فبَقيَ يَتيماً لا يَجِدُ مَنْ يأنَسُ إليهِ، فإذا عَرِفَهُ العالِمُ فَعَليهِ أنْ يُعطيَهُ العِلمَ فإنَّهُ لهُ ولا يمنعهُ فإنْ منَعَهُ فهوَ آثِمٌ، وإلى كَمْ وبَعدَ كَمْ يعرفُ رُشدهُ هذا العَالِمُ المنكوس. وأَمَرَهُم فقالَ:

لا تمنعوا الحِكمةَ*[١٠٤] عنْ أصحابها فتَظلِموهُم ولا تُعطوها لِغَيرِ أهلها فتُضَيّعوها. وقدْ بَذلنا عِلمنا الَّذي علَّمَنَاهُ اللهُ وأوصَلَنا إليهِ كما أمَرَنا، فعَلَى مُقْتَبسهِ وطالِبهِ والرَّاغِبِ فيهِ قبولهُ والتَّسليم إليهِ والعَمل بهِ، فلا يَتِمُّ قبولهُ إلاَّ بالعَمَلِ المشروطِ فيهِ واستِعمالِ فقْهِهِ والمواظَبَة على التَّخلُّصِ منْ أوزارِهِ والتَّفريطِ فيهِ وقدْ حضَّ على العملِ وأمَرَ بهِ ووعَدَ عليهِ فقالَ تَعالى: (**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** (١٠٥))(التوبة). وقالَ تَعالى: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** (٧) **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (٨))(الزلزلة). وقالَ تَعالى: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ** (٩٤))(الأنبياء). وقالَ تَعالى: (**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** (٢١٥))(البقرة). وقالَ تَعالى: (**وَمَا تُقَدِّمُوا**

[١٠٤] ـ عن رسول الله (ﷺوآلهِ) قال: إن عيسى بن مريم (عليه السلام) قام في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لا تحدثوا بالحكمة الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.(من لا يحضره الفقيه).

لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠))(المزمل). والأَجرُ هوَ الجَزاءُ والجَزاءُ أفضَلُ منَ العَملِ أضْعافاً كثيرَةً. كما قالَ جَلَّ منْ قائِلٍ: (**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)**)(البقرة). ولَيسَ للخَلقِ على الباري حجَّة بَعْدَ التَّعريضِ والتَّصريحِ.*[١٠٥]

أصول الدين عند الخصيبي:

هي نفسها الأصول الخمسة عند الإمامية.

١– التوحيد ٢– العدل ٣– النبوة ٤– الإمامة ٥– المعاد .

وأدلة التشريع هي نفسها عندهم أيضاً:

١– القرآن الكريم ٢– السنة المقدسة ٣– الإجماع ٤– العقل .

وقد ذكر أهم مبادئ الطريقة الجنبلانية الشيخ الجنَّان، شيخ السيد الخصيبي (وهي الطريقة التي تبنَّاها الخصيبي وسُميتْ بإسمِهِ):

وذلك في رسالته المسمّاة إيضاح المصباح*[١٠٦] التي أودعها فكرَهُ ومعتقدَهُ ووصاياه. يقول فيها: (الحمدُ للهِ ربِّ العالمين المتَّوحِدِ في غيبِهِ بذاتِهِ، الدَّالَةُ عليهِ أَسماؤُهُ معَ صفاتِهِ، الذات العليَّة والأسماء الخفيَّة، والحمدُ للهِ الموجود بكل مكانٍ

[١٠٥]- رسالة التوحيد. للخصيبي.

[١٠٦] - وردت هذهِ المقدمة في كتاب إخوان الصفا والتوحيد العلوي، محمد عبد الحميد الحمد.

مقصودٍ، وهو يتعالى ويتقدَّس ويعزُّ ويجلُّ أن ينقلهُ شأنٌ عن شأن، والحمدُ للهِ الظاهر بالأنوار، الموجدِ ظهورها منهُ، والحمدُ للهِ المتَوحدِ بالوحدانيةِ، المتفرِّدِ بالصمدانَّية، الدَّاعي إلى نفسهِ بنفسهِ، الموحي لحجابهِ، والباهر أَبوابَهُ بالآيات، ومُظهرِ المعجزات إيجاداً لحجَّتهِ، لئلاَّ يقولوا ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نذير: (**فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (**١٩**))(المائدة). أحمدُهُ على ما عرَّفنا بهِ من نفسِهِ المحَذِّرة وقدرتهِ المشهورة، لأنَّ تلك القدرة هي قدرته المصَوِّرة وآياته المنذرة، أحمدهُ حَمدَ مَنْ نزَّهَهُ عن الإحاطةِ والإحصار، وجلَّ أن تحويه الضَّمائرُ والأفكار، وتعالى عن التكييف بالخواطر والأسرار، وجلَّ عن الإدراك في الدهور والأعصار، وصلى الله على الحجاب الأعلى، وعلى الباب المقيم صاحب الشرف والنور الأسنى، وعلى من يليهم من العوالم العلوية، الذين بهم الهداية إلى أُسِّ المفعولات، وألف الصبغة، وهاء القدرة وعين السلسبيل وينابيع المعنى، صلاةً يحيا حياةً أبديةً من عرفهم، وتمسك بهم، وهُدِيَ بهدايتهم، ويموتُ مَنْ جَهِلَهم، وعلى من آلَ إليهم في حقيقةِ المعرفةِ إيقاناً وتصديقاً، وسلّم لهم تسليماً وإيماناً يُعلّي قائلَهُ إلى منازلِ النورِ ودرجاتِ الحبور، فيستضيء بأنوار العلوم الربانية، وتسفرُ لهُ عن غرائبها، وتنبئهُ عن عجائبها، وتُهديه قَصدَ مسالِكِها، فلم يزل في استنباطِ الحكمةِ الملكوتيَّةِ اعتداله بحقائِقِها، بارتقاءٍ يؤديهِ إلى حُسنِ طرائقِها في رموزها ودقائقها ويُنجيهِ من الذين هُمْ أهلُ الحيرةِ في الدُّنيا، وهم عنِ الآخرة معرضون.

وإذْ قد ذكرنا الموجب المعلوم، بأنَّ للبروج والأفلاك والحروف والسموات والأرض والشمس والقمر والشهور والأعوام والأيام والساعات أشخاصاً باطنةً*[١٠٧] فقد لزمنا ما نذكرهُ أن نذكر بأنَّ الشرع يظهر بهِ الأصل ممَّا هو دليل على أنَّ هذهِ البواطن معقودةٌ بهِ، لئلا يظنَّ من يرجو الراحة والإباحةَ أنَّ معرفة هذهِ البواطن تُغنيهِ عنْ استعمال الظواهر، وذلك أنَّ الإسلام قبل الإيمان، وهو ما ردَّ بهِ اللهُ على الأعراب بقولهِ تعالى: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا (١٤)**﴾(الحجرات). وقال الإمام الباقر (عليه السلام): الإسلامُ حلقةٌ متضمنةٌ الإيمانَ، فمن دخَلَها بالشكِ فلا سبيلَ لهُ إلى الإيمان.*[١٠٨]

فلذلك يُقال: كلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمناً.*[١٠٩] إلاَّ أن يجمع بين الإسلام والإيمان جُملةً واحدة، فحينئذٍ يكون مُسلماً. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١٩)**﴾(آل عمران). وقال وهو أصدق القائلين: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**﴾(آل عمران). وقال الإمام علي (عليه السلام): (الإسلام قولٌ مفعولٌ، وعملٌ مقبولٌ وعرفانٌ في العقول). وقال أيضاً (عليه السلام): (إنَّ الإيمان عقدٌ مقبولٌ في الجَنَان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان). ورواهُ محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن سعيد بن

---

[١٠٧] - إنَّ الأفلاك كلها أجسام حية ذات نفس وعقل تتصور وتُدرك الإله وتُدرك مبادئها. وأنَّ في الوجودِ عقولاً مُفارقة لا في جسم أصلاً، كلها فائضة عن الله تعالى وهي الوسائط بين الله وبين هذهِ الأجسام.(دلالة الحائرين، عن مقدمات أرسطو لموسى بن ميمون/ ت/٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م/).

[١٠٨] - بحار الأنوار ج /٦٥ /ما في معناه. وسائل الشيعة ج/٢٧/أيضاً.

[١٠٩] - بحار الأنوار ج/٦٥/ عن الإمام الصادق(عليه السلام).

عيسى، عن محمّد بن سنان الزاهري، عن حسين الصقيل، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنَّهُ قال: (لا يَقبَلُ اللهُ عملاً إلاَّ بمعرفة، ولا معرفة إلاَّ بعمل، فمن عَرِفَ دَلَّتهُ المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة لهُ، وإنَّما الإيمان بعضهُ من بعض).*[110]

ورواه إبان بن عباس عن سُليم بن قيس أنَّهُ قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فسألهُ عن الإسلام والإيمان ؟ فقال: الحمد لله الذي شرَّعَ الإسلام وسهَّل شرائعه لمن ورده، وأعزَّ أركانه لمن حاربهُ، وجعله عِزّاً لمن تولاَّهُ، وسِلماً لمن دَخَلَهُ، وإماماً لمن ائتمَّ بهِ، وزينةً لمن تحلاَّه، وعُدَّةً لمن انتحلهُ، وعروةً لمن اعتصم بهِ، وحبلاً لمن تمسَّكَ بهِ، و برهاناً لمن تعلَّمهُ، ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاكم به، وعِلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن رواه، وحُكماً لمن قضى به، وحلماً لمن جرَّب، وشفاءً ولباً لمن تدبَّر، وفَهماً لمن تفَطَّنَ، ويقيناً لمن عَقِلَ، وبصيرةً لمن عزم، وآيةً لمن توسَّم، وعبرةً لمن اتَّعظ، ونجاةً لمن صدق، ومودَّةً لمن أصلح، و زُلفى لمن اقترب، وثِقةً لمن توكَّل، ورجاءً لمن فوَّض، وسابقة لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجُنَّةً لمن صبر، ولباساً لمن اتَّقى،وظهيراً لمن رشد، وكهفاً لمن آمن، وأمنة لمن أسلم، وروحاً للصادقين، وموعظة للمتقين، ونجاة للفائزين، فالإيمان أصلُ الحقّ، وأصلُ الحقّ سبيلهُ الهدى، وصفته الحسنى، ومأثرته المجد، فهو أبلج المنهاج، مُشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير

---

[110] ـ أصول الكافي، بحار الأنوار ج/٧٥، وميزان الحكمة.

المضمار، جامع الحلبة، متنافس السبقة، أليم النقمة، قديم العدَّة، كريم الفرسان، التصديق منهاجهُ، والصالحات منارهُ، والفقه مصابيحه، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنة سُبقته، والنار نقمته، والتقوى عدَّته، والمحسنون فرسانه، فبالإيمان يُستدلُّ على الصالحات، وبالصالحات يُعَمَّرُ الفقه، وبالفقه يُرهبُ الموت، وبالموتِ تُختمُ الدُّنيا، وبالدنيا تجوزُ القيامة، وبالقيامةِ تُزلفُ الجنةُ للمتقين، وتبرز الجحيم للغاوين، والجنة حَسَرَاتٌ على أهل النار، والنار موعظةُ المتقين، والتقوى سِنخُ الإيمان.*[111]

فالإيمان على أربعِ دعائمٍ:

على الصبرِ واليقينِ والعدلِ والجهادِ.

والصَّبرُ منها على أربعِ شعبٍ:

الشوقُ والإشفاقُ والزهدُ والترقبُ،

فمن اشتاق إلى الجنةِ سلا عن الشهوات، ومن أشفقَ من النارِ اجتنبَ المحرمات، ومنْ زَهِدَ في الدنيا استهان بالمصيبات، ومنْ ارتقب الموت سارع إلى الخيرات.

واليقينُ منها على أربعِ شعبٍ: على تبصرة بالفطنة، وتأول بالحكمة، وموعظة بالعبرة، واستنانٍ بسنةِ الأولين، فمن تبصر بالفطنة تبينت لهُ الحكمة، ومن

[111] ـ كتاب سُليم بن قيس الهلالي . تحف العقول.

تبينت لهُ الحكمة عَرِفَ العبرةَ، ومن عَرِفَ العبرةَ عَرِفَ السُنَّةَ، ومن عَرِفَ السُنَّةَ فكأنمَّا كان في الأولين.

والعدل منها على أربعَ شعبٍ:

على غائصِ الفهمِ، وغور العلم، وزهرةِ الحكم،ورساخةِ الحلم، فمن غاص في الفهم عَلِمَ غور العلم، ومن عَلِمَ غور العلم صدّرَّ عن شرائع الحُكم، ومن حَلُمَ لم يُفرط في أمرهِ، وعاشَ في الناسِ حميداً.

والجهاد منها على أربعِ شعبٍ:

على الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآنِ الفاسقين، فمن أمرَ بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين، ومن صَدَقَ في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين وغَضِبَ لله غضب الله لهُ وأرضاهُ يوم القيامة.*[١١٢]

وكذلك الإيمان على سبعٍ:

الأولى الشهادة، وهي قولهُ: (أشهدُ أنَّ لا إلهَ إلاَّ الله وأشهدُ أنَّ محمّداً رسول الله)، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والولاية.

فاثنتانِ منها على النفس، وهما الشهادة والولاية.

[١١٢] - نهج البلاغة. تحف العقول.

واثنتان على الجسم وهما الصلاة والصيام.

واثنتان على المال والجسم وهما الحج والجهاد.

وواحدةٌ على المال وهي الزكاة.

فأمَّا الشهادة: فدلالتها من قول رسول الله (ﷺ) في أول الأمر مَنْ قال: أشهدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله مُخلصاً دخل الجنة، ولقد مات على ذلك أقوامٌ ليسوا كلهم في الجنّةِ، بل مَنْ عَرِفَ منهم كلمة الإخلاص، وكلمة الإخلاص هي عِلمٌ نذكر بعضهُ، (وهو مما روي عن الإمام الرضا (عليه السلام)، إنَّهُ كان يوماً في منزل من المنازل، وهو سائرٌ إلى طوس وقد أسرع الظعن، فاجتمع إليهِ شيعتهُ وقالوا لهُ: يا مولانا أسرعتَ الظعنَ عنا ولم تُمَتِعنا بشيءٍ من نعمتكَ، فرفع سجاف القبةِ وقال لهم: اكتبوا حديثي وحديث أبي موسى الكاظم، عن أبيهِ محمّد الباقر، عن أبيهِ علي زين العابدين، عن أبيهِ الحسين شهيد كربلاء، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهم السلام) قال: حدَّثني أخي وحبيبي وقرة عيني رسول الله (ﷺ) قال: حدَّثني جبريل عن اللوح عن القلم عن الله (جل جلاله) قال: إنَّ قول أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أَمِنَ من عذابي. فكتبوا الحديث وتُرِكتِ القبةِ للمسير، ثمَّ أخرج رأسهِ منها وقال: بشروطها وأنا من شروطها).*[١١٣]

[١١٣] - مسند الإمام الرضا.

ورويَ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّهُ وقفَ بالجبانةِ، ومعهُ كميل بن زياد فقال: (يا أهل لا إلهَ إلاَّ الله، كيف رأيتم قول لا إلهَ إلاَّ الله ؟ ثُمَّ التفتَ إلى كميل بن زياد وقال لهُ: لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: وجدناها خير الزاد والتقوى).*[114]

وسُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام) عن قول " لا إله إلاَّ الله " وعن كُلِّ مَنْ يقولها ؟ فقال: إذا كان يوم القيامة فالذين ليسوا من أهلها سُلبتْ منهم لا إلهَ إلاَّ الله، وإنَّهُ لن يقولها إلاَّ من هو من أهلها.

وأمَّا الولاية:

فمقرونة بالشهادة، ولا تُقبلُ الشهادةُ إلاَّ بالولاية. وذلك معنى قول الإمام الرضا (عليه السلام): بشروطها وأنا من شروطها.

وعن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: سَمِعتُ رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن دعائم الإسلام ؟ فذكرهُنَّ حتى بلغ إلى الولاية، فقلتُ: وإنَّها لإحداهُنَّ ؟

فقال: يا أبا سعيد، لولا الولاية لهلكَ الناس ومَنْ على الأرض.

قال تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** (٥٥))(المائدة).

وقال تعالى: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** (٨٠))(النساء).

وقال تعالى: (**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** (١٠))(فاطر).

---

[114] - جامع الأخبار، بحار الأنوار.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): الولاية هي العمل الصالح، وهي كالطبقِ تَرفَعُ أعمالَ المؤمنين، ومَنْ لا ولايةَ لَهُ كانَ عَمَلُهُ مَطروحاً في الدَّارِ فَهُوَ مَمنُوعٌ مِنَ الارتفاعِ والقبول.

وأمَّا الصَّلاةُ: فَهِيَ عماد الدين، ومن لا صلاةَ لهُ لا دين لهُ، ومن أوجب الأشياء لقبولها معرفة بواطنها والعمل بظواهرها، وتحتاج إلى الطهارة، والنِّيَّةِ، والإقامة، ومعرفة المواقيت، ومعرفة الفرض منها والسُّنَّة، وسنزيدُ كلاماً من ذلك بموضعهِ.

وأمَّا الأذان والإقامة: فخمس وثلاثون كلمة، ثمانِ عشرة للأذان وسبعُ عشرة للإقامة، والذي يقوله بعض الشيعة في الأذان " إنَّ محمّداً وعلياً خيرُ البشر " وقولهم: " محمّد خير البشر وعليٌ خير البريةِ " فليسَ ذلك من الأذان والإقامة، والذي تقولهُ (العامة):*[115] " الصلاة خير من النوم " يَدَّعُونهُ بدلاً من " حي على خير العمل " .

وأمَّا الصيام: فهو جُنَّةٌ للمؤمنين وعصمةٌ لهم من الأعمال الفاسدة، ومنهُ قول السيد الرسول (صلى الله عليه وسلم): الصيام وحيٌّ من الله، وإنَّهُ لمفتَرَضٌ ومكتوبٌ على هذهِ الأمة لمن يقتفي منها قولهُ تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ(١٨٤)**)(البقرة).

[115]- في بعض النسخ الحشوية. بين قوسين لا يوجد في الأصل (المؤلف).

ثُمَّ قال جلَّ من قائل: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٨٥))(البقرة). فمن صامَ دون الثلاثين ولم يُعَوِّل على الرؤية، ولم يُوفِ العدَّةَ فقد أخطأ وما صام، وقولهُ تعالى: (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**(١٨٤))(البقرة). وذلك أنَّ قوماً من الأمةِ كانوا يُفَطِّرون الصُّيَّام فديةً عن إفطارهم مع الاستطاعة، فَنُسخَت هذه الآية في الآية التالية بقولهِ تعالى:(**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**(١٨٥))(البقرة).

..وأَيامهُ ثلاثون، وفيهِ ليلةُ القدر التي هي خيرٌ من ألف شهرٍ، وفي قراءة ابن مسعود: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** (٣) **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** (٤) **أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا**(٥))(الدخان).

وقولهُ جلَّ من قائل: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (١))(القدر). ولها شخصٌ مُسمَّى.*[١١٦] ومن الصيام شعبان، وصيامهُ سُنَّةٌ مُلحَقَةٌ بالفرض، وفيهِ يقول رسول الله (ﷺوآلهِ): شهرُ شعبانُ شهري، وشهرُ رمضان شهر الله لقوله تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**(١٨٥))(البقرة). فمن صامَ شهري وَجَبَتْ لهُ شفاعتي وَمَنْ صَامَ شهرَ الله ضمنتُ لهُ الجنة.*[١١٧]ومن نوافل الصيام صيام

[١١٦] - راجع الخميني الآداب المعنوية للصلاة.

[١١٧] - بحار الأنوار+ وسائل الشيعة.(شعبان شهري، ورمضان شهرُ الله، فمن صامَ شهري كنتُ لهُ شفيعاً يومَ القيامة، ومن صامَ شهر الله آنسَ اللهُ وحشتَهُ في قبره).

ثلاثة أيام في كل شهر، الخميس الأول، والخميس الأخير من كل شهر، والأربعاء الأوسط بينهما.

وأمَّا المواصلةُ: فهي صيامُ " الطَّي " وذلك بأن يُصامَ يومانِ مُتتابعانِ، أو أكثر دونَ إفطار، وقد نهى رسول الله (ﷺوآلهِ) عن المواصلةِ، فقيل لَهُ: يا سيِّدنا إنَّا نراك تُواصلُ ؟! فعارضهم شفقةً عليهم، وقال (ﷺوآلهِ): إنّي لستُ كأحدكم وكهيئتكم، إنّي أظلُّ عند ربي يُطعمني ويُسقيني، ثُمَّ قال (ﷺوآلهِ): إنَّ صيام الدهر كُلّه لازمٌ على كلِّ مؤمنٍ، وهو أن يصومَ في كل شهر ثلاثة أيام، يوماً في كلِ عشرةِ أيامٍ، وهي الخميسان الأول والأخير، والأربعاء الأوسط، فاليوم كفارةُ لعشرة أيام. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (١٦٠)﴾(الأنعام).تفسير ذلك: إنَّ صيام ثلاثة أيام في عشرة أشهرٍ تكون المدَّة شهراً كاملاً، وهو كفارةٌ عن عشرةِ أشهرٍ وصيامُ شهر شعبان وصيام شهر رمضان، فذلك صوم الدَّهر كُلّه.

وأمَّا الحجُّ: إلى بيتِ اللهِ الحرام، فقولهُ تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** (٩٧)﴾(آل عمران). والاستطاعة هي الزاد والراحلة. (ورد خبر عن الإمام الباقر(عليه السلام)قال فيه: السعة هو أن يكون معه ما يحجّ ببعضهِ، ويبقى بعض يقوت بهِ نفسهِ وعياله)*[١١٨].وقولهُ تعالى: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** (٩٧)﴾(آل عمران)، فقرن التأخّر عن

[١١٨] ـ الرسالة المقنعة للشيخ المفيد.(هذهِ الملاحظة للشيخ علي أحمد مبارك سجنو)

الحج مع وجود الزَّاد والراحلة بالكفر، وهذه فريضةٌ لا مندوحة*[119] عنها، غير أنَّها تجبُ مرَّةً واحدةً في العمر، وهي حجَّةُ الإسلام. وقد كان هذا البيتُ محجوجاً قبل إبراهيم (عليه السلام)، وهو قوله تعالى: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ (٩٧)**)(آل عمران). وقولهُ تعالى: (**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)**)(الحج). وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم (عليه السلام) بالخطيئةِ التي أوجبها العدل سُمّيَ موضع مهبطهِ الصَّفا، وهو مشتقٌ من صفوةِ اللهِ تعالى وهو آدم (عليه السلام)، وكذلك سُميَّ مهبط حواء المروة، وهو مشتقٌ منَ المروءة ووضع بإزاء الكعبة، وهي البيتُ الحرام، مثابةً وأمناً للمستغفرِ المستقيلِ قالَ تعالى: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (١٢٥)**)(البقرة). فلاذوا بالعرشِ واستقالوا فأقالهم الله.وقد جعل اللهُ البيتَ المعمورَ من دونِ العرشِ في السماء السابعةِ ملاذاً للعالمِ العلوي، فسُمّيَ البيتُ المعمور، وهو من دون العرش، لأنَّهُ يدخل إليه كُلَّ يومٍ سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون (يرجعون) إليهِ أبداً، فكان هذا البيت في الأرض بإزائهِ ملاذاً للعالم البشري، فلم يزل ذلك إلى طوفان نوحٍ (عليه السلام)، ولم يبقَ على وجهِ الأرضِ أرفعُ من مرسى السفينةِ، فَلَمَّا عادَ نوحٌ إلى عمارةِ الأرضِ من بعدِ مَهبطِهِ من السفينةِ لإقامةِ أهلها، أُمرَ أن يُجدَّدّ البيت ويُرفعَ، وأن يُعقدَ لهُ قواعدٌ من خمسةِ جبالٍ، وقيلَ من سبعة، منها

[119] ـ لا مندوحة : لا فُسحة.

طورِ سيناءِ واحدٌ، ومن جبَلِ قافٍ اثنانِ، وكانت قواعدُ البيتِ غير مرفوعةٍ، ليُطافَ حولها ويُحَجَّ إليها، إلى أن كان من زمنِ إبراهيم (عليه السلام) عشرُ سنين وهو في جوارِ البيتِ، وكان من ظُهورِ زَمزمَ ما كان، وبلغت مُجاورةُ إسماعيل (عليه السلام) عشرين سنةً، فأمرَ اللهُ تعالى إبراهيمَ برفعِ قواعدِ البيتِ، فرفعها على قدرِ القامةِ، ولما بلغَ إبراهيمُ موضِعَ الحجرِ استدعى إسماعيلَ لإحضارِ حجرٍ، فذهبَ لإحضارِهِ، فأتاهُ جبرائيلُ (عليه السلام) مِنَ الجَنَّةِ بحجرٍ من لؤلؤٍ أبيضَ، فجُعلَ في المكان، ووردَ أنَّ الحجرَ هو الملِكُ المسلَّم إليهِ مواثيقَ الخلقِ في الذَّرِو، وبعدَهُ في سائرِ الأنديةِ والأوقاتِ الأولى، ولذلكَ يقولُ الطائفُ مِنَ الحُجّاجِ عندَ استلامهِ: إنَّ أمانتي وميثاقي تعاهدُتُهما إليكَ لتشهدَ لي بالموافاةِ، وإنَّما اسودَّ منْ لمسِ المشركين ولمسِ المنافقين...ووردَ أيضاً أنَّ إسماعيلَ (عليه السلام) أوَّلُ من نطقَ بالعربيةِ والسريانيةِ، فيقولُ: هالي كابا، وهو اسم الحجرِ، وتفسيرهُ: هذا حجرٌ، وإنَّما قولهُ: ومَنْ دخلهُ كان آمناً، وصارَ حَجُّ البيتِ داخلاً في فروضِ الشَّرع مِنْ عهدِ إبراهيمَ الخليلِ (عليه السلام).

وقولهُ تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)** ﴾(الحج). أي يأتونَ مُشاةً وركباناً، وقول الحاجِّ: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، إنَّما هُو جوابُ الأمر الذي سَمعهُ العالَمُ من إبراهيم الخليل (عليه السلام) وهو قولهُ تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا**

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧))(إبراهيم).

وقد وَرَدَ إنَّ البيتَ العُلويَّ والبيتَ السُّفليَّ مِنْ ياقوتٍ أحمرَ، وقيلَ من لؤلؤٍ أبيضَ وزمُرُّدٍ أخضرَ، وموجبُ العلمِ أن يكونَ البيتُ العُلويُّ نورانيًّاً وغيرُهُ جوَهرِيًّاً، وقد كان رسولُ الله (ﷺوآلهِ) لا يُرى لَهُ فيءٌ في شمسٍ ولا في قمرٍ ولا في ضوءٍ. وقد نُهيَ الحاجُّ عنِ الرَّفثِ والفسوقِ والجدالِ في الحَجِّ، ويجب على الحاجِّ أن يعرف المواقيت، والإحرام وطهارتَهُ، والمناسك، ويمتنع فيه من المآكل والمشارب والمناكح والطيب ومن الصيد وغير ذلك في أيام إحرامهِ، ويجب عليه أن يعرفَ البيتَ، وأبوابهُ، والأركان، والحجر الأسود، والميزاب، والمستجار، والملتزَم، ومقام إبراهيم والظهور منهُ، والطواف أسبوعاً، والصلاة بعدَهُ ركعتان في مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ومعرفة الصفا والمروَةَ والسعي بينهما، وعرفات والموقف، والمزدلفةَ وليلتها، ومنى والمقامَ بها، والذبح، والحلق، ورمي الجمار، والعمرَةَ وأوانها وميقاتها، وحدودَ الحرم وجميع المناسك، وكلُّ ذلك فَلَهُ ظاهِرٌ وباطِنٌ معقودٌ بَعضُهُ بِبعضٍ، فلا يُغني باطنُهُ عن ظاهرِهِ، ولا ظاهِرُهُ عَنْ باطنِهِ، فلذلك قُرِنَ الكُفرُ بالتَّأخرِ عنهُ والمضيِّ إليهِ بغير معرفة، وقد ورد أنَّ الحُجَّاج يكونون بعرفات على ثلاث طبقات؛ منهم طبقةٌ يغفرُ اللهُ لهم.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): على شرط التوبةِ من الكفرِ، فإن تابَ أحدهم وأنابَ قُبِلَ حَجُّهُ، ولا يجوز سفرُهُ وسَعيهُ في الدُّنيا لأجلِ الثَّروةِ والجاهِ والأهل

والمال.*[١٢٠] فقد بيَّنَ هذا الحديثُ أنَّ هؤلاء أضدادٌ، ومن اتخذ الأضدادَ أولياءَ من دون الله فقد خالفَ الله.

وأمَّا الجهاد: فهو فريضة لقوله تعالى: (**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)**)(النساء).ومن شروط الجهاد أن يكون مع إمامٍ عادل، وهو قول السيد الرسول: (ﷺوآلهِ) رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فسُئِل عنهُ فقال: هو جِهادُ النفس.*[١٢١]

وفي الجهادِ أيضاً وجهٌ آخر: وهو قولُهُ تعالى: (**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)**)(الحج)...

وقد وجدنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرِ أنَّهُ لا مندوحة عن أنْ تأمُرَبالمعروفِ بقلبكَ ولسانك ويدك، فإن لم تقدر فبقلبكَ ولسانكَ، فإن لم تقدر فبقلبكَ. فأوجبَ أنَّهُ لابُدَّ من الأمر بالمعروفِ والنهي عنِ المنكر.

---

[١٢٠] ـ سُئلَ رسول الله (ﷺ) لأي شيء أمر الله الوقوف بعرفات بعد العصر؟ فقال (ﷺ): لأنَّ بعد العصر ساعة عصى آدم صلوات الله عليه ربه، فافترض الله على أمتي الوقوف والتضرع والدعاء في أحب المواضع إلى الله وهو موضع عرفات، وتكفل بالإجابة، والساعة التي ينصرف وهي الساعة التي تلقى آدم صلوات الله عليه من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.(كلمات الإمام الحسين للشيخ الشريفي).(مسند محمد بن قيس البجلي).(بحار الأنوار).

[١٢١] ـ شرح الكافي+ بحار الأنوار + كشف الخفاء.

ووردَ في ذلكَ عن أمير المؤمنين علي (الطَّيْلاً) أنَّهُ قال: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أوحى إلى شعيب النبي (الطَّيْلاً) إنّي مُعذبٌ من قومكَ أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا ربُّ هؤلاء الأشرار عذبتهم وأنا عرفتُهم، فما بالُ الأخيار؟ فقال لهُ: لأنَّهم لم ينهوا أهل المعاصي، ويغضبوا لغضبي.*[١٢٢]

وأمَّا الزكاة : ففريضةٌ، بقولهِ تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ** (**٤٣**)﴾(البقرة).

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آَتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آَتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** (**٣٩**)﴾(الروم).

والزكاةُ في عشرةِ أشياءٍ هي: بالمواشي، وبالحبوبِ، وبالثمارِ، وبالغنائمِ، وبالكنوزِ والمالِ، وذكرُهَا مشروحٌ في كتاب الفقهِ نستغني بهِ عن شرحِ أحوالها، وكتاب الفقهِ لأبي شعيب، (فزكاةُ المالِ ربعُ العشرِ في كلِ سنَةٍ، فهي من كلِّ أربعينَ درهماً: درهمٌ واحدٌ، وذلك أنَّ الله جعل تسعةً وثلاثين غنياً وجَعَلَ فقيراً واحداً، فإذا أخرجَ الأغنياءُ زكاةَ أموالهم لحِقَ ذلك الفقير بهم وصار كأحدهِم، ولاشيء فيما دون المائتين، ومن أخرجَ الخُمس من مالهِ فقد حلَّ جميعهُ، ولا زكاةَ عليهِ فيما أخرجَ خُمسَهُ بقيَّةَ دهرِهِ. وقد وردَ أنَّ في المالِ حمداً وذَمَّاً، وباطناً وظاهِراً، ومنه قول أمير المؤمنين علي (الطَّيْلاً): أنا مَالُ المؤمنين ومالهم زكاة غيري. وقولهُ: أنا يعسوبُ المؤمنين والمالُ هوَ يعسوبُ الكافرين. فليسَ لهم يعسوبٌ إلاَّ

[١٢٢]- مشكاة الأنوار+ بحار الأنوار.

المالَ.*[١٢٣] يعني الذَّهبَ والفضَّةَ.

وقد وَرَدَ أيضاً: إنَّ المرءَ مَسؤولٌ عن جاهِهِ كما هُوَ مسؤولٌ عن مالِهِ.*[١٢٤] وزكاتُهُ قضاءُ حوائجِ إخوانهِ المؤمنين، ومالُهُ مَيلُهُ إلى مولاه.

وقولهُ تعالى: (**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ (٥٣)**)(النحل).فلا تَمَلُّوا النِعَمَ فتحِلَّ عليكُمُ النِقَمُ.

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّهُ قال: من رُزِقَ أربعينَ حديثاً فَعَلَيهِ أن يُزكي بحَديثٍ منها لمِستَحِقِهِ.*[١٢٥]

فنقول: إنَّ هذهِ الأوامرِ السبعة، المسمَّاة (**دعائم الإسلام**) وما يُضافُ إليها من حدودِ وأوامرِ الشرع الظاهر الذي لا مندوحةَ لأَحدٍ عنْ حَدِّ العلمِ بِها، والعملِ فيها، فذلك هو الإسلام، ولكن بواطنها (**دعائم الإيمان**)، وهذهِ الأوامرُ والحدود لا مندوحة للمؤمنِ عن حدِّ معرِفتِها والاعتصامِ بها والتَّديُّن بموجبِها، ولا يَتمُّ للمؤمنِ إيمانُهُ حتى يكون فاعلاً ذلك، ومنْ فعل ذلك فقد أقام الظاهر والباطن جُملةً كما ذكرنا، وحينئذٍ يكونُ مؤمناً حَقَّاً، ومنْ قَصَّرَ في شيءٍ من الظاهرِ والباطنِ، فقدْ أنقصَ من إسلامهِ بحسبِ ما قَصَّرَ.انتهى.

****

[١٢٣]- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد.

[١٢٤] - قال الصادق (عليه السلام) يُسألُ المرءُ عن جاهِهِ كما يُسألُ عن مالِهِ، يقول جَعَلتُ لكَ جاهاً فهل نصرتَ بهِ مظلوماً أو قَمَعتَ بهِ ظالماً أو أَغثتَ بهِ مكروباً.(عوالي اللآلي).

[١٢٥] - عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: زكاة العلم أن تُعلِّمهُ عبادَ الله. وقال أمير المؤمنين علي(عليه السلام): زكاةُ العلمِ بذلِهِ لمستحقه، وإجهاد النفس في العمل به.(مستدرك الوسائل).

٢- الطريقة القادرية

للقطب الغوث أبو محمّد محي الدين عبد القادر الجيلاني (الشافعي) و (الحنبلي) شيخ بغداد، الذي ولد في كيلان (جيلان) شمال إيران عام/٤٧١/هـ وتوفي عام/٥٦١/هـ.

تُعتبر القادرية من أقدم الطرق الصوفية المنظمة في الإسلام، وتنتشر في معظم أنحاء العالم الإسلامي.

من أهم مبادئ الطريقة القادرية التمسك بالشريعة الإسلامية، ونبذ ما يخالفها، حيث يقول مؤسسها: (طِرْ إلى الحق عزَّ وجلَّ بجناحي الكتاب والسنَّة).

ويقول أيضاً: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة).

وهي تحضُّ على عدم الحسد، حيث يقول: (إياك والحسد، فإنَّهُ بئس القرين، وهو الذي خرب بيت إبليس وأهلكه، وجعله من أهل النار، وجعله ملعوناً من قبل الحق عزَّ وجلَّ وملائكته وأنبيائه وخلقه).

كما تدعو للطهارة وعدم الغرور، حيث يقول:

(تغسل ثيابك من الوسخ واغسل قلبك من الذنوب، ولا تغترَّ بشيء، فإنَّ ربّك فعال لما يريد).

وتحضُّ أيضاً على الصبر على البلاء وعدم الهروب منه حيث يقول:

(يا غلام لا تهرب من البلاء واصبر عليه، لابُدَّ منه ومن الصبر عليه، فكيف تتغير جبلَّة الدنيا وما خلق عليها لأجلك، ما يزال الأنبياء الذين هم خير الخلق مُبتلين، وهكذا أتباعهم المقتدون بهم والماشون في جادَّتهم، والمقتفون آثارهم).

وتدعو إلى عدم الكره والبغض والعجب وحُبِّ الآخرة حيث يقول:

(إذا وجدتَ في قلبك بغض شخص أو حبه، فأعرض أعماله على الكتاب والسنّة، فإن كانت محبوبة فيها فأحبهُ، وإن كانت مكروهه فاكرهه لئلا تحبهُ بهواك وتبغضه بهواك).

أمَّا عن الولاية فيعتبر الإمام الجيلاني أنَّ الولاية استحقاقٌ أزلي من عالم الذر، فيقول:

وَلَنَا الولايةُ مِنْ ألستُ بِرَبِّكُم   رشقت قُلُوبَ المنكرينَ سِهَامُنَا

ويقول عن نفسهِ:

أنا كُنتُ قَبلَ القبلِ قُطباً مُبجَّلاً   تَطُوفُ بِيَ الأكوانُ والرَّبُّ سَمَّاني

ويقول أيضاً في قصيدة الوسيلة:

أنا الواحد الفرد الكبير بذاتهِ   أنا الواصف الموصوف عِلمُ الطريقةِ

ملكتُ بلاد الله شرقاً ومغرباً   وإن شئتُ أفنيتُ الأنام بلحظةِ

وقالوا فأنتَ القطب قلتُ مشاهدٌ   وتالٍ كتاب الله في كلِّ ساعةِ

ويقول أيضاً:

أنا قطبُ أقطاب الوجود بأسرهِ   أنا بازُّهُم والكلُّ يُدعى بغلماني

ويصف الإمام الجيلاني الأولياء في قصيدتِه الخمرية فيقول:

رِجالٌ خَيَّموا في حَيِّ ليلى   ونالوا في الهوى أقصى مَنَالِ
رِجالٌ في النهار لِيوثُ غابٍ   ورُهبَانٌ إذا جَنَّ اللَّيالي
رِجالٌ في هوا جرِهِم صِيَامٌ   وصوتُ عَوِيلِهم في اللَّيلِ عالي
رِجالٌ ما التَهوا عَنهُ بِشيءٍ   وما اختاروا قُصُوراً في عَوَالي
رِجالٌ لا يُضامُ لَهُم نَزيلٌ   ولاَ يَشقى الجليسُ ولا يُبالي
رِجالٌ سَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ   وفي الغاباتِ في طَلَبِ الوِصال

الطريق الصوفي

مظاهر المعرفة عند الإمام الجيلاني:

أولاً ـ الفراسة: حقيقةٌ قرآنيةٌ جاءت في الآيات بلفظ التوسّم.

(**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)**)(الحجر).

ووردت في الحديث الشريف (اتقوا فراسة المؤمن، فإنَّهُ يرى بنور الله).*[١٢٦]

---

[١٢٦]ـ أخرجه البخاري.

وكان يقول: كُلُّ حقيقةٍ لا تشهد لها شريعةٌ، فَهِيَ زندقةٌ...وكُلُّ إلهامٍ لا يَشهد لَهُ ظاهِرٌ، فهوَ باطلٌ.*[127]

ثانياً ـ الإلهام والحديث: فالإلهام خاطرٌ ربانيٌّ يتنزل بالحق على قلب العارف.

والحديث: خطابُ الحق من عالم الأسرار والغيوب، ينزل بهِ الروح الأمين على قلوب العارفين.*[128]

ويرى الجيلاني الخلق على ثلاثة أقسام:

١ – العاميُّ (المسلم المتقي).

٢– الخاصُّ (المؤمن العالم العامل).

٣– خاص الخاص (وهم الأبدال الذين ينظرون بأمر الله (عَزَّ وَجَلَّ) وإلهامه).*[129]

ثالثاً ـ التأويل: كلمة قرآنية ذات معاني متعدده، فهي تعني تعبير الرؤيا،

وفهم الأحاديث، وإدراك الحقائق. وتعني أيضاً إدراك المراد من كلام الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) في القرآن كما في قوله: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ** (٧))(آل عمران).

ووردت هذهِ الكلمة في الحديث الشريف في قول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):لإبن عباس (اللهم فقِّههُ في الدين وعلمه التأويل).*[130]

---

[127] ـ الغنية وبهجة الأسرار للجيلاني.

[128] ـ ابن عربي اصطلاحات الصوفية.

[129] ـ الفتح الرباني للجيلي.

[130] ـ مسند أحمد. ومستدرك الصحيحين.

رابعاً ـ الشهود: يقول (سبحانه وتعالى): (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ (١٨)**)(آل عمران). فذلك هو التوحيد (الشهودي) الذي يعتبرهُ الصوفيةُ أعلى درجاتِ التوحيد، إذْ هو معاينةٌ قلبيةٌ لله، وإقرارٌ بوحدانيتِهِ شهوداً ـ لا قولاً وتقليداً ـ فحين يصحُّ القلبُ، تتجلى عليهِ المعارفُ الغيبية التي بها يشهدُ العارفُ ربَهُ عزَّ وجل، فلا تؤثر فيهِ بعد ذلك رؤية الخلق، ولا يتكدر صفاء سِرَّهُ.*[١٣١]
فمفهوم الشهود عند الصوفية: هو رؤية الحقَّ بالحقِّ.*[١٣٢]

تلك الرؤية التي يجعل أهل الطريق لها ثلاث درجات.

– فالدرجة الأولى تُعرف باسم (المحاضَرَة) وهي حضور القلب لتلقي أنوار الحق تعالى وبراهين إلوهيته من وراء حجاب.

– الدرجة الثانية (المكاشفة) وهي تلي المحاضرة لأنَّها تكشف القلب لحقائق الإلوهية دون افتقار لدليل وبرهان.

– الدرجة الثالثة (المشاهدة) حيث يشهد العارف ببصيرته سطعات أنوار الغيب....وإذا وصل العارف مرتبة الشهود، عاين بعيني قلبه وبصيرته تجليات الحق تعالى، تلك التجليات التي تطهر بها حقائق الأسماء والصفات الإلهية في كل لحظةٍ بأمر، ولكل عارف بحقيقة.

---

[١٣١] ـ الفتح الرباني، للجيلي.

[١٣٢] ـ لطائف الأعلام للقاشاني.

خامساً ـ الأسرار: وأسرار الحق المتجلية على قلوب العارفين كثيرة منها (سر الحقيقة، سر العلم، سر القدر، سر الربوبية، سر سر الربوبية).

يُضيف الإمام الجيلاني إلى مراتب المعرفة الشهودية (المحاضرة، المكاشفة، المشاهدة) (المحادثة) مُشيراً إلى أنَّ المحاضرة تكون بالبرهان، والمكاشفة بالحقائق، والمشاهدة بالأنوار...أمَّا المحادثة فتكون بالأسرار الإلهية.*[١٣٣]

الطرق الصوفية

المبايعة بين الشيخ ومريده عند القادرية

ينبغي أن يجلس المريد تجاه الشيخ ملاصقاً ركبتيه بركبتي شيخهِ، وواضعاً يدهُ اليمنى بيد شيخهِ اليمنى، بعد صلاة ركعتين نفلاً للهِ تعالى، ثُمَّ يقرأ الفاتحة لحضرة الأستاذ الأعظم حضرة النبي الكريم (ﷺوآلهِ)، وإلى إخوانهِ المرسلين، وإلى المشايخ المعتبرين، وخاصة مشايخ السلسلة القادرية، والأقطاب الأربعة المكرمين، خصوصاً صاحب الطريقة الأستاذ والقطب الغوث، والأبدال، والنجباء، والأوتاد، وأهل التوبة، والأربعين، رضوان الله عليهم تعالى أجمعين، وأمدَّنا بمددهم وببركتهم وبجاههم، ثُمَّ يستمد من روحانيتهم الشريفة الطاهرة المقدسة التوفيق والفتوح لهُ ولمريدهِ، ثُمَّ يقول الشيخ لمريدهِ: قُلْ: (أستغفر الله. أستغفر الله العظيم، الذي لا إلهَ إلاَّ هو الحيّ القيوم وأتوب إليه، أُشهِدُ اللهَ وملائكته ورسله

[١٣٣] ـ بهجة الأسرار، الجيلاني.

وأنبياءه، بأنِّي تائبٌ إلى الله تعالى مُنيب إليهِ، وأنَّ الطاعة تجمعنا، وأنَّ المعصية تُفرقنا، وأنَّ العهدَ عهدُ اللهِ ورسولهِ، وأنَّ اليدَ يدُ شيخنا وأستاذنا الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني (قدس سره)، وعلى ذلك بأنِّي أُحلُّ الحلال، أي أعمل بهِ، وأُحرِّمُ الحرام، أي أجتنبهُ، وأُلازم الذكر والطاعة بقدر الاستطاعة، ورضيتُ بحضرة شيخنا المشار إليهِ شيخاً لي، وطريقتهِ طريقةً لي، واللهُ على ما نقول وكيل، ثُمَّ يقول الشيخ سِراً ثلاث مرات: يا واحد، يا ماجد، انفحنا بنفحة منك، ثُمَّ يقرأ الشيخ آية المبايعة، وهي قولهُ تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** (١٠)﴾(الفتح). ثُمَّ يقول لمريدهِ: اسمع مني كلمة التوحيد ثلاث مرات، وقلْ أنتَ مثلها، وكيفيتها: أن يأخذ كلمة (**لا**) أولاً ومن طرفهِ الأيمن مادَّاً بها إلى جبهته في كلمة (**إلهَ**)، ثُمَّ يفرغ (**إلاَّ الله**) في طرفهِ الأيسر، وهو محل الروح مُغمِضاً عينيهِ، فإذا قالها صحيحاً طِبقَ المذكور، يُوصيهِ بالوصايا اللازمة والإكثار من التلاوة لها قياماً وقعوداً، آناء الليل وأطراف النهار، ومراعاة حقوقها، وحقِّ إخوانهِ ، وملازمة الرابطة وقت القراءة وبعدها.

ومن جملة الوصايا: تقوى الله وطاعتهِ، وحمل الأذى، وترك الأذى، والصفح عن عثرات الأخوان، وبذل الكف وسخاوة النفس، وترك الحقد والحسد والكذب

والنميمة والغيبة، والفحش في الكلام، والاستقامة على الوضوء، وعلى الاستغفار، والصلاة على النبي (ﷺوآلهِ) من غير تعيين عدد.

ثُمَّ بعد أن يَقبلَ المريدُ هذهِ الشروط، يقول لهُ الشيخ: وأنا أيضاً قبلتك لي ولداً، وبايعتُك على هذا المنوال. ثُمَّ يدعو الشيخ بدعاء، ويدعو لمريدهِ وهو (اللهمَّ كُنْ لَهُ بَرَّاً رحيماً، جواداً كريماً، الَّلهمَّ دُلَّهُ بِكَ عليك، الَّلهمَّ خُذهُ منهُ إليك، الَّلهمَّ افتح عليهِ ولديهِ فتوح الأنبياء والأولياء بجودك ورحمتك وكرمك يا أرحمَ الراحمين.

ثُمَّ بعدهُ يَسقي الشيخُ المريدَ الكأس، إنْ شاء ماءً قراحاً، وإنْ شاء بسكّر، وإنْ شاء زيتاً، ويقرأ على المشروب هذا الدعاء قوله تعالى: (**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ** (٥٨))(يس). وقوله: (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** (٨٢))(الإسراء). وسورة الفاتحة، والإخلاص ثلاث مرات. ويعطيه الكأس، ويشرب المريد الكأس.

الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية. لإسماعيل القادري

من مؤلفاته:

فتوح الغيب، والفتح الرباني والفيض الرحماني، وجلاء الخاطر في الباطن والظاهر، والغنية لطالبي طريق الحق، وآداب السلوك، وغيرها.

****

٣ . الطريقة النقشبندية

تُنسب هذهِ الطريقة إلى محمّد بهاء الدين شاه نقشبند.*[١٣٤] واشتق اسمها منه، ومن ثُمَّ عُرفت به. ولِدَ في قرية بخارى سنة (/٧١٧/هـ ، تتلمذ على يد الشيخ الصوفي محمّد بابا السماسي في مدينة تماس، وأخذ عنه أسس التصوف والسلوك إلى الحق، وبعده صَحِبَ الشيخ عارف الدين عراني في سمرقند، توفي/٧٩١/هـ). وكانت قَبلَهُ تُنسبُ إلى عبد الخالق الغجدواني، وسميت كذلك بالمجددية أو الفاروقية نسبة إلى الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، وبالخالدية نسبة إلى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين، وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد أن تلقَّاها من الشيخ عبد الله الدهلوي، وقد كان انتشارها مقصوراً على بلادِ بخارى وما حولها.*[١٣٥] وهو قد أخذها عن شيخِهِ أمير كلال، عن الخواجة محمّد بابا السيماسي، عن علي الراميتني، عن محمود النغوي، عن الخواجة محمّد عارف الديوكري، عن الخواجة عبد الخالق الغجدواني.*[١٣٦] وهو قد لقِّب بنقشبند لانطباع صورة لفظ الله على ظاهر قلبه من كثرة ذكر الله، وقيل سمي

[١٣٤]- كلمة فارسية معناها النقاش.

[١٣٥]- البهجة السنية في آداب الطريقة العلية النقشبندية ٣٥.

[١٣٦]- ذكره محمد الحسيني الزبيدي في كتابه إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٢٤٨/٧.

نقشبند، لأنَّ رسول الله (ﷺوآلهِ) وضع كفه الشريف على قلب الشيخ محمّد بهاء الدين الأويسي نقشبند، فصار نقشاً في القلب.*[١٣٧]

وأصول الطريقة النقشبندية متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى.

ونقلوا عن الشيخ محمّد بارسا (أحد أجلاء أصحاب الشيخ نقشبند) في كتابِهِ فصل الخطاب، أنَّ طريقة الخواجة (شاه نقشبند) حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم، لأنَّه كان سالكا طريق الصدق والوفا ومتابعة الشرع وسنَّةِ المصطفى (ﷺ) ومجانبة البدع ومخالفة الهوى).*[١٣٨]

ومن الملاحظ تلازم الطرق الصوفية الأربعة بالطريقة النقشبندية وهم: الجشتية والسهروردية والقادرية في حين لا يبدو أنَّه يُسمَح للمُريد النقشبندي بمبايعة طريقة أخرى غيرها كالرفاعية.*[١٣٩]

وقد تفرعت من الطريقة النقشبندية عدة طرق، وهي الخالدية أو الضيائية نسبة إلى خالد ضياء الدين البغدادي الملقب بذي الجناحين، والضيائية والكبروية والسرهندية أو المجددية، نسبة إلى أحمد السرهندي صاحب المكتوبات.

---

[١٣٧] - تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ٥٣٩ ط: دار إحياء التراث العربي.

[١٣٨] - المواهب السرمدية ٧٧.

[١٣٩] - أنظر كتاب الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية لمحمد بن سليمان البغدادي النقشبندي ص ١٢.

ونقلوا عن بهاء الدين شاه نقشبند أنَّ بداية الطريقة النقشبندية: نهاية الطرق الأخرى.*[١٤٠] وأوجبوا على الناس دخول طريقتهم، وهدَّدوا من لا يدخل الطريقة النقشبندية بأنَّه يكون على خطر من دينه.

فنقلوا عن بهاء الدين شاه نقشبند أنَّه قال: (من أعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه).*[١٤١]

وهم يطعنون في الطرق الأخرى فيقولون عن الطريقة الرفاعية: ومن المدعين للطريق جماعة وسموا أنفسهم بالمشايخ الصادقين... كالأحمدية والدسوقية والرفاعية... فإنَّ الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من انتسبوا إليه.

الطريقة االنقشبندية، لعبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية

تسلك النقشبندية في تربيةِ مُريديها منهج الصحبة، أو الذكر، ويرى الشيخ عبد الغني النابلسي، أنَّ الصحبة أتم وأكمل للمريد، وأنَّ شيخ الصحبة أقوى وأسرع تأثيراً من شيخ الذكر، والذكر إمَّا أن يكون منفرداً أو مع شيخ أو مع الرفيق أو الرفقاء سِرٌّ بالقلب مع المراقبة للمذكور وهو الله سبحانه وتعالى أثناء الذكر، وعدم الغفلة عنه باشتغال القلب عمَّا سواه (التصوف الإسلامي).

والذكر يكون أولاً بالتلقين من الشيخ للمريد، وبالتلقي الصامت من قلب المريد،

---

[١٤٠]- الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ص ١٦ لمحمد بن سليمان البغدادي

[١٤١]- نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٦٣.

وقد أَلزَم الشيخ نقشبند أتباعَهُ الذكر في الخفاء، وهي أن يحبس المريد أنفاسه تماماً ويذكر الكلمة الطيبة، وهي لا إله إلاَّ الله، قدر ما يسعهُ النفس العميق، ويجتهد أن يكون وقوفه وإخراج نفسه على وتر من الذكر، ثمَّ مناجاة الله تعالى عقب كل دورة من دورات الذكر القلبي، حيث يقول المريد: إلهي أنتَ مقصودي ولا سواك معبودي، ثمَّ تأتي الرابطة التي هي المنهج الثالث من مناهج السلوك النقشبندي، ومعناها ربط المريد قلبه بالشيخ بالكامل، الذي وصل بروحه وقلبه إلى مقامِ المشاهدة، وتحقق في نفسهِ بالصفاتِ الذاتيةِ المنسوبَةِ إلى ذات الله تعالى، من غير كيف ولا كيفية، على التنزيهِ المطلق، بحيث اضمحلت صفاته في صفاتِ الحقِ جلَّ وعلا، وانمحقت هويته في هويَّةِ الحقِ سبحانه وتعالى مضاء يسمع بهِ ويبصر بهِ ، كما ورد في حديث المتقرب بالنوافل(الموسوعة الإسلامية المختصرة).

. ولهذه الطريقة ثلاثة آداب، أدب مع الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)، وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مُستكمِلاً للعبودية، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، مُعرِضاً عن سواه بالكلية.

وأدب مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلهِ)، وهو أن يستغفره في مقامِ (اتبعوني)، ويراعى ذلك في جميع الأحوال وجوباً ويعلم أنَّهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلهِ) واسطة بين الحق والخلق، وأنَّ كل شيء تحت تصرف أمره العالي.

وأدب مع المشايخ، وهو لازمٌ للطالبين، لأنَّهم سببٌ في متابعتهِ (صلى الله عليه

وسلم) ووصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق، فينبغي للمُريد حضوراً أو غيبةً أن يكون مُراعياً لأحوالِهِم، مُقتدياً بهم، مُتمسِّكاً بأذيالهم(السيرة الرضية).

الطرق الصوفية

وقد شبه محمّد أمين الكردي الشيخ بالكعبة:(يسجدون إليها ـ والسجود لله ـ وكذلك الشيخ).*[١٤٢] والكعبة مسجود إليها عند القوم فقد قال السرهندي الفاروقي شيخ الطريقة النقشبندية ومجددها الأكبر: (إنَّ حقيقةَ الكعبة الربانية صارت مسجوداً إليها للحقيقة المحمّدية... وكما أنَّ صورة الكعبة مسجود إليها لصور الأشياء، كذلك حقيقة الكعبة مسجود إليها لحقائق الأشياء، فإنَّ حقائق الأشياء عبارات عن الأسماء الإلهية... وحقيقة الكعبة فوق تلك الأسماء).*[١٤٣]

ـ ويتابع الكاتب دمشقية القول:

وتبقى وشائج الاتصال بين الأحياء وبين الأموات من سلسلة مشايخ الطريقة ابتداء من الانضمام إلى الطريقة وأخذ العهد والبيعة، وتدوم الصلة بين المنتمين إليها دائماً بسلسلة مشايخ الطريقة الأموات، فمن روحانيتهم يطلبون المدد ويتلقون المعرفة والأدب، ولهم تتم المبايعة، وتختتم مجالس ذكرهم بإهداء

---

[١٤٢]ـ المواهب السرمدية ٣١٣ الأنوار القدسية ٥٢٥.

[١٤٣]ـ مكتوبات الإمام الرباني السرهندي الفاروقي ١٨٠ ط: دار الكتب العلمية.

ثواب ذلك الختم لسلسلة مشايخ الطريقة فرداً فرداً.*[١٤٤]

ـ ويقول محمّد أسعد صاحب زادة: لما كان الطالب في الابتداء في غاية التدنُّس، ـ وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس ـ صارت المناسبة التي هي الإفاضة مفقودة، فلا بُدَّ من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخاً، ويكون له حظ وافر من الطرفين حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب.*[١٤٥]

ـ وقالوا: الوصول إلى الله لا يمكن أن يتم بغير صحبة العالم العارف، بل هو المِظهَر الذي عينه الله للمريد.*[١٤٦]

فإنَّ الشيخ يجذب المريد جذبةً إلى الله تُسمى بالجذبة الإلهية ولا تحصيل لهذه الجذبة إلاَّ بصحبة الشيخ.*[١٤٧]

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد.*[١٤٨]

---

[١٤٤] ـ الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس (٢٠٥ـ٢٠٦) ط: دار الإنشاء والصحافة. طرابلس ـ لبنان.

[١٤٥] ـ نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٤١.

[١٤٦] ـ أوراد الذاكرين أوراد الطريقة النقشبندية ٦ نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٤١ و٤٢

[١٤٧] ـ البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية ٣ لمحمد الخاني ط: مكتبة الحقيقة اسطنبول.

[١٤٨] ـ البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية ص ٤٢ لمحمد بن عبد الله الخاني. نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٤٣.

وهذه توسيلة للنقشبندية لرسول الله (ﷺوآلهِ)

وقفتُ بالذل في أبواب عزكم مستشفعاً لذنوبي عندكم بكم
أعفّرُ الخد ذلاً في التراب عسى أن تقبلوني وترضوا عن عبيدكم
فإن رضيتم فيا سعدي ويا شرفي وإن أبيتم فمن أرجوه غيركم
أنا المقرُّ بذنبي فاصفحوا كرماً فبانكساري وذلي قد أتيتكم
نسيتُ كل طريقٍ كنتُ أعرفها إلاَّ طريقاً تؤدي لحيِّكم
لا تطردوني فإنّي قد عُرفتُ بكم بين الورى أُدعى بصبكم

عقيدة القبور:

وللقبر شأن عظيم عند الصوفية عموماً، فهو الوسيلة إلى الله، وهو موطن البركات وموضع قضاء الحاجات، والمتوجه إليه في الدعوات، فهذه عقيدة مصدرها كما قال محمّد أمين الكردي:

وكل شأن من شؤون العبادة وطلب العلوم والكشوفات مرتبط بالقبور، بل تلقي العلوم وفيضها والبيعة والتكليف واستمداد كل خير مرتبط بالقبر، فإنَّهم يعتقدون أنَّ الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات، وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام والأرواح والخلق.*[١٤٩]

١٤٩- الأنوار القدسية ٧.

وقد حَصَلَ للشيخ بهاء الدين نقشبند التكليف والولاية حينما اجتمع بسلسلةِ مشايخ النقشبندية الأموات في المقبرة، وأخذ طريقة الذكر الخفي من الغجدواني الميت في المقبرة.*[١٥٠]

. وقال بعض المشايخ: إنَّ الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج، وتارةً يخرج الولي من قبرِهِ ويقضيها بنفسه.*[١٥١]

هكذا جاء إسنادها موقوفاً على المشايخ ولم يرفعوا السند إلى شيء من كتاب ولا سنة، بل يزعمون أنَّ الولي يخرج من قبره وكأنَّه ما يزال حيا حياة دنيوية حقيقية. ولهذا صرحوا بأنَّ المقصود من زيارة قبور الأنبياء والأولياء (الزيارة والاستمداد وسؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعبارة عن هذا الإمداد بالشفاعة).*[١٥٢]

الطريقة االنقشبندية، لعبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية

. صفات الأولياء عند النقشبندية:

وأمَّا أنواع الأولياء وأوصافهم، فقد توسَّع الكمشخاتلي النقشبندي في بيان ذلك وبالغ حتى جعل لهم صفات الربوبية. فقال ما نصه:

(وأمَّا أنواع الأولياء والمتصرفين، فمنهم قطب الأقطاب، وقطب الإرشاد،

[١٥٠] ـ المواهب السرمدية ١١٣.

[١٥١] ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ٤١٠.

[١٥٢] ـ نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٣٨.

وقطب البلاد، وقطب المتصرفين، وهم الكلمات الجامعة الإلهية، وقدرتهم القدرة الذاتية... وهم أقطاب العالم، وهؤلاء الأوتاد نوابهم. لا موت ولا عارض ولا صعق ولا تغير لهم.*[١٥٣]

ومنهم الإثني عشر نقيباً: وهم مُطَّلِعون على تأثيراتِ الكواكب التي تنزل على البروج.

ومنهم النجباء: وهم ثمانية عدد السموات مع الكرسي، وهم واقفون على أحوال النجوم، ومُطَّلِعون على أسرارِ النجوم والكرسي والعرش.

ومنهم: ثلاثمائة رجل من الأولياء على قلب آدم، ومنهم أربعون على قلب نوح، ومنهم سبعة، غير الأبدال السبعة على قلب إبراهيم، ومنهم خمسة على قلب جبريل، ومنهم ثلاثة على قلب ميكائيل، ومنهم واحد على قلب إسرافيل، وعلمه علم إسرافيل، جامع للقبض والبسط، وعلى هذا المشرب أبو يزيد البسطامي، ومنهم ثمانية عشر قائمون بحقوق الله وظاهرون بأمره ويحكمون بما أراد الله، ومنهم خمسة عشر رجلاً وهم المسمّون رجال الحنان والعطف الإلهي، ومنهم أربعة يسمون رجال الهيبة والجلال وهم يمدون بالأوتاد الأربعة، قالبهم روحاني وقلبهم سماوي معروفون في السماء مجهولون في الأرض وعلمهم مما لا يتناهى، ومنهم رجال الاشتياق وهم خمسة، ومنهم رجال الأيام الست... وهذه

---

[١٥٣] - جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ ١٣١ لأحمد ضياء الدين الكمشخانلي. طبع بالمطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٨.

الأيام مقالة الصفات السبع، الأحد موجود من صفة السمع، والاثنين من صفة الحياة، والثلاثاء من صفة البصر، والأربعاء من صفة الإرادة، والخميس من صفة القدرة، والجمعة من العلم، والسبت من الكلام، وكل واحد نال من مظهرية صاحبه، فافهم).

– وفضلوا خدمة الشيخ على التقرب إلى الله بالنوافل بل على أي عمل صالح آخر كما قال محمّد أمين الكردي. قال بعضهم: الخدمة عند القوم من أفضل العمل الصالح.*[١٥٤]

وأن يحب ما يحبه شيخه ويكره ما يكرهه، وأن لا يتوجه إلاَّ لما أراده شيخه رافعاً نظره عن غيره.

وأن يكون اعتقاده مقصوراً على معتقد شيخه.

وأن يفنى في الشيخ في ذاته وأفعاله وصفاته فإنَّ الفناء في الشيخ مقدمة للفناء في الله.*[١٥٥]

وأن لا يتوضأ بمرأى من شيخه، ولا يُصلي النوافل بحضرته، بل زاد السرهندي على ذلك فقال: ولا يذكر الله إلاَّ بإذن الشيخ.*[١٥٦]

[١٥٤] ـ تنوير القلوب ٥٢٨ ـ ٥٣٠ وانظر المواهب السرمدية ٧٩ والأنوار القدسية ١١٢.
[١٥٥] ـ السعادة الأبدية فيما جاءت به النقشبندية ٣٠ ط: مكتبة الحقيقة أو وقف الإخلاص بتركيا.
[١٥٦] ـ المكتوبات الربانية ٣٤٧.

وأن لا يتوجه إلاَّ لما أراده الشيخ.

وأن لا يتكلم في مجلس قط إلاَّ بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً، وإن كان غائبا يستأذنه بالقلب.*[١٥٧]

وأن لا يشرب ماء ولا يأكل طعاما ولا يكلم أحداً في حضور شيخه.

وأن لا يكون متوجها إلى أحد، ولا يمدّ رجله عند غيبة شيخه إلى جانب هو فيه، ولا يرمي بصاقه إلى ذلك الجانب، أي الجهة التي يكون فيها الشيخ في أي مكان في العالم.

وأن لا يُنكر على شيخه قولاً أو فعلاً ظاهراً كان أم باطناً، لأنَّ شيخه بيد الله تعالى: والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر.

وأن يعتقد أنَّ كل شيء يصدر عن شيخِهِ يعتبره صواباً، وإن لم يره صواباً في الظاهر فإنَّه يفعل ما يفعله بطريق الإلهام والإذن.*[١٥٨]

وأن لا يقوم في محلٍ يقع ظله على ثوب شيخه أو ظله.*[١٥٩]

وأن لا يضع رجلَهُ في مُصلاَّه.

وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا يخالفه في شيء مطلقا.*[١٦٠]

---

[١٥٧] ـ البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ٢٦.

[١٥٨] ـ السبع الأسرار في مدارج الأخيار ١٠٥ مكتوبات السرهندي الفاروقي المعصومي ٣٤٧.

[١٥٩] ـ أنظر المكتوبات للامام الرباني السرهندي ٣٤٧.

[١٦٠] ـ الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ٧٦-٧٧. البهجة السنية لمحمد الخاني ٢٥و٤١و٥٧. مكتوبات الامام الرباني السرهندي الفاروقي ٧٣.

ثم أنشد الكردي شعراً يبين كيف يكون المريد من شيخه فقال:

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فان الاعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع*[161]

ومن آداب المريد مع شيخه عندهم

أن لا يتزوج زوجة طلَّقها شيخه، أو مالت نفسهُ إليها، ويلزم منه أن تنطبق أحكام تحريم زواج نساء النبي بنساء الولي، وكأنَّ الله قال: وما كان لكم أن تؤذوا أولياء الله ولا أن تنكحوا أزواجهم من بعدهم أبداً إن ذلكم كان عند الإله عظيما... وبذلك تصير زوجات الأولياء أمهات المؤمنين.*[162] !!

وأن يلازم عند الذكر في مخيلتِهِ وبين عينيهِ صورة الشيخ وذلك من أصول الذكر.*[163]

وأن يكون مستسلِما منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لأنَّ جوهر الإرادة والمحبة لا ينبني إلاَّ بهذا الطريق، ولا ينكر عليهم شيئا من أفعالهم

[161] - تنوير القلوب ٥٢٩.

[162] - تنوير القلوب ٥٢٩.

[163] - رسالة في تحقيق الرابطة لخالد النقشبندي الملقب بذي الجناحين ٩ شفاء العليل ٩٠ و٧٨ المواهب السرمدية ٤٩٤، الأنوار القدسية ١٤٥ تنوير القلوب ٥١٧ السعادة الأبدية ٧٨. البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية لمحمد بن عبد الله الخاني ٤٢-٤٣ نور الهداية والهرفان ص ٣٨.

لأنَّ المنكر عليهم لا ينجو.

الطريقة االنقشبندية، لعبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية

. وقالوا من لا شيخ له فهو كافر وفاسق عندهم.

بل صرحوا بأنَّ كل من لم يتخذ له شيخا فهو عاص لله ورسوله، ولا يحصل له الهدى بغير شيخ، ولو حفظ ألف كتاب في العلم.*[164]

بل حكموا عليه بالكفر فقالوا: (من لا شيخ له فشيخه الشيطان، ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخا متخلقا بأخلاق الرحمن)*[165] وقالوا الطريق إلى الله مسدودة إلاَّ بالشيخ، وزعموا أنَّه لا وصول للمريد إلى الله إلاَّ بواسطة الشيخ لأنَّه بزعمهم بابه إلى حضرة الله تعالى ووسيلته إليه، وهو نائبه عن النبي (ﷺوآلهِ).

وهذه بعض أقوالهم في التوحيد والأسماء والصفات وغيرها:

لقد صرَّح بعض مشايخهم كالسرهندي، وغيره بأنَّ سائر الموجودات مظاهر الأسماء الإلهية، ومرايا شؤوناته وكمالاته الذاتية، وأنَّ هذا العالم إنَّما هو مَظهَر

[164]- الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ص ٣١ لمحمد بن سليمان البغدادي.

[165]- البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية ص ٤٧ لمحمد بن عبد الله الخاني.
نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان لمحمد أسعد صاحب زادة: مصر ١٣١١.

لظهور كمالات الأسماء والصفات الإلهية.*[١٦٦]

وأنَّ اللهَ كانَ كنزاً مخفياً فأراد أن يعرض نفسه من الخلاء إلى الملاء، وأنَّ أشخاص العالم ظلال الأسماء والصفات.*[١٦٧] حيث يخرج السالك عن أوصافِهِ ويتصف بأوصافِ ذلك الظل، وإن حَصَلَ للسالك الترقّي عن هذا الظل ينصبغ بلونِهِ، ويصل إلى الأصلِ الذي هو اسمٌ من الأسماء الإلهية، وحينئذٍ تصيرُ القطرة بحراً والحصاة جبلاً... فلما حَصَلَ للسالك الفناء والبقاء، صار بحراً وجبلاً.

وهذا عندهم هو السير للتحلي بأسماء الله وصفاته، ويسمِّيه السرهندي السير الأسمائي والصفاتي، ويحدد هذا السير بأنَّه نهاية عروج الأنبياء والأولياء أولاً إلى أسماءٍ إلهيةٍ هي مبادئ تعينات وجودهم.*[١٦٨]

ويقول عبيد الله أحرار فكمال الحمد أن يحمده العبد ويعرف أنَّهُ لا حامد إلاَّ هو تعالى، وأنَّهُ – أي العبد – عدمٌ محض لا رسمَ لهُ ولا اسم ولا فعل وإنَّما يبتهج سروراً بكونِهِ تعالى جعلَهُ مظهراً لصفاتِهِ.*[١٦٩] ... فإنَّهُ إذا تجلى الحق على قلبِهِ – أي السالك – بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسواء، فلا يبقى فيه إلاَّ

[١٦٦] ـ مكتوبات الإمام الرباني ص ١٢١ وانظر نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ٨٣.

[١٦٧] ـ لاحظ التشابه فيما بين الطرق بهكذا أقوال!!

[١٦٨] ـ كتاب السبع الأسرار في مدارج الأخيار ص ٥٥ لمحمد معصوم العمري النقشبندي وانظر مكتوبات الإمام الرباني ص ١٩٨ وانظر ص ١٩٢.

[١٦٩] ـ أنظر مكتوبات الإمام الرباني للسرهندي الفاروقي النقشبندي ٤٣.

هو.*[170] فلا جرم يسمع في هذا القلب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، وسبحاني ما أعظم شأني وأنا الحق وهل في الدارين غيري.*[171]

ويستحق المرء عندهم أن يوصف بأنَّهُ عالم بعلم التوحيد إذا اعتقدَ توحيد الأفعال والصفات والذات، وتقرر في قلبِهِ أَنْ لا فاعل في الوجود إلاَّ الله، فحينئذٍ يُقالُ لمثلِ هذا: إنَّهُ عالمٌ بعلمِ التوحيد.*[172]

ويقول الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي أنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، وظهر ظهر، وبطن بطن، وهكذا إلى ما لا يعلمه إلاَّ الله.*[173] وفسَّر قوله تعالى: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (١٢)**)(المؤمنون).أي أوجدنا كل فردٍ من أفرادِ الإنسان الباطني، وهو مجرداته الخمسة: القلب والروح والسر والخفي والأخفى.*[174]

وقال بهاء الدين نقشبند في قوله تعالى: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)**)(الكوثر). أي أعطيناكَ شهود الأحدية في الكثرة.* [175]

وفسَّر عبد الرزاق النقشبندي (بسم الله)أي باسمِ الإنسان الكامل.*[176]

[170] ـ وهو عندهم من أسماء الله الحسنى!

[171] ـ الأنوار القدسية ١٦١ـ١٦٢.

[172] ـ رشحات عين الحياة ٢١١.

[173] ـ تفسير سورة التين ص ٥ طبعة.

[174] ـ تفسير سورة التين ٢٦ الحدائق الوردية في أجلاء الطريقة النقشبندية ١٧١.

[175] ـ المواهب السرمدية ١٦٢ الأنوار القدسية ١٦٢ رشحات عين الحياة ١٧٤ و١٨٦.

[176] ـ رشحات عين الحياة ١٢١.

. واعتبر السرهندي: أنَّ الإنسان نسخة جامعة من عالم الإمكان بطريق الحقيقة، ومن طريق الوجوب بطريق الصورة (أنَّ الله خلق آدم على صورته).*[١٧٧]

قال: فالله خلق آدم على صورته وهو منزه عن الشبيه والمثلية، فكذلك خلق الله روح آدم التي هي خلاصته على صورة لا شبيهة ولا مثلية.

وكما أنَّ الحق سبحانه لا مكاني، فكذلك الروح لا مكانية.

ونسبة الروح إلى العالم كنسبة الله تعالى، لا داخلة في العالم ولا خارجة عنه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه... وانتهى إلى أنَّ خلق العالم يدل على أصله، وصرح بأنَّ كمالات الإنسان مستفادة من كمالات الرب، ومن هنا ورد (أنَّ الله خلق آدم على صورته)، ومعنى (من عرف نفسه عرف ربه).*[١٧٨]

فلا جرم إنْ كان الإنسان خليفة الرحمن ولا عجب، فإنَّ صورة الشيء خليفة الشيء. وما لم يُخلق على صورة شيء لا يليق بخلافه شيء.*[١٧٩]

. ويحكي السرهندي أنَّه بالوصول إلى العالم العلوي ينتهي إلى امتزاج العدم بالوجود الذي هو منشأ الإمكان... وبالسير إلى الله تتم دائرة ظلال الأسماء الواجبة، ويحصل للسائر الوصول إلى مرتبة الأسماء والصفات، وفي هذا الموطن

---

[١٧٧] ـ الأحاديث القدسية.

[١٧٨] ـ تذكرة الموضوعات للإمام محمد طاهر بن علي الهندي الفَتّنِي. وفي رواية أخرى: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه (تفسير الميزان).

[١٧٩] ـ مكتوبات الإمام الرباني السرهندي ٣٧٣ وكذلك ٣٢٦ حول النص الذي قبله.

يتحقق الشروع في حقيقة الفناء، فإنَّ هذه الأسماء هي في الحقيقة كالحجب، ساترة لوجه حضرة الذات تعالت وتقدست.*[180]

ثانيهما: شهود الذات من لباس المظاهر من غير وصف الكثرة بل بنعت الوحدة ويقال لهذا الشهود عند الصوفية شهود الأحدية في الكثرة وكان رسول الله (ﷺ) على هذا الشهود بعد البعثة.*[181]

الطريقة االنقشبندية، لعبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية

مصادر التلقي عند الطريقة النقشبندية

مدار الطريقة على حصول المعرفة وترقي المقامات العليا والفناء في ذات الله الذي لا إخلاص يتم بدونه.*[182] وليس بتعلم العلم. فانَّ العلم علمان:

علم الوراثة: وهو علم الظاهر، وهو يحصل لمن جد واجتهد في طلبه.

والعلم اللدني: ويسمى علم الباطن ولا ينال إلاَّ بالتقوى واليه الإشارة بقوله تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)**)(البقرة). وهذا العلم اللدني يناله العارف بمحض العناية الإلهية وليس بالتعلم.*[183]

[180] ـ مكتوبات الإمام الرباني ٢٤٠ وانظر أيضا ص ٢٤٢.
[181] ـ رشحات عين الحياة ٢١٣ نور الهداية والعرفان ص ٤١.
[182] ـ مكتوبات الإمام الرباني.
[183] ـ رشحات عين الحياة ٢١١.

بل إنَّ هذا العلم يتلقاه الولي من الحي القيوم بلا واسطة.*[184]

ومع أنَّ الطريقة مبناها على العلاقة بين الشيخ والمريد فإنَّ الشيخ ليس للتعليم، وإنَّما هو لتحصيل الواسطة وتنظيم العلاقة بين المريد وبين الله ووضع صورة الشيخ في مخيلة المريد.

ويتابع الكاتب...القول: سلوهم: أليسوا يقسمون إلى عوام، وخواص، وخواص الخواص ؟

الم يصرحوا في كتبهم بأنَّ (لا اله إلاَّ الله) توحيد العوام وأنَّ (لا هو إلاَّ هو) توحيد الخواص.*[185]؟

الطريقة االنقشبندية، لعبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية

****

[184] - رسالة في تحقيق الرابطة ١٢ لخالد البغدادي ضمن كتاب: علماء المسلمين وجهلة الوهابيين ١٢.

[185] - رشحات عين الحياة ١٨٥ المكتبة الإسلامية بتركيا. المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١٦٤.

٤- الطريقة الرفاعية

للإمام أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، ولد بقرية (حسن) بين بصرى وواسط بالعراق سنة/٥١٢/هـ توفي أبوه وهو طفل، فكفله خالهُ شيخ الشيوخ منصور الربَّاني البطائحي المعروف بين القوم (بالباز الأشهب) حيث كان شيخ طريقة صوفية، خلف خاله في مشيختها عُرفت فيما بعد بالرفاعية، وتوفي ببلدة (أم عبيدة) سنة/٥٧٨/هـ .

فلسفة الطريقة كما يقول الشيخ أحمد الرفاعي: (تجارتنا هي العمل، ورأسمالنا الإخلاص، فتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى، هذا معراج السير، وسلّم الوصول، والرياء وترك العمل يجلبان التدمير ويورثان الكسل).*[١٨٦]

وكان الرفاعي يشترط على كل مُريد من مريديه أن يكون لهُ عمل أو مهنة يتكسب منها. وكان يقول: لا ينضم إلى طريقتنا عاطل.*[١٨٧]

نظَّم الإمام الرفاعي أتباعه قبل موتهِ، فقسمهم إلى مجموعات تبدأ من المريد التلميذ، ثُمَّ لكل مجموعة من المريدين شيخاً يُسمى مُدرِّساً أو خليفة، ولكل مجموعة من الخلفاء خليفة الخلفاء.*[١٨٨]

ولا يمكن عنده للسالك أن يكون شيخاً إلاَّ إذا بدا من أول الطريق مُريداً.

---

[١٨٦] -أقطاب التصوف لصلاح عزام.

[١٨٧] - نفس المصدر.

[١٨٨] - أعلام التصوف الإسلامي لأحمد أبو كف.

وكان يقول: أنَّ الطريق إلى اللهِ صعب إلاَّ على من دخلهُ بوجهٍ صادقٍ غالب، وشوق مزعج، فيهوّن حمل الأثقال وركوب الأهوال، والمريد لا يصل إلى مرادهِ حتى يخرج عن مألوفات حسِّهِ ويترك الشهوات والمباحات.

وكان يشترط على المريد فقد الماديات وحبّ الدنيا، والثانية: الصبر والإياس من جميع الأشياء إلاَّ الله تعالى، والثالثة: كتمان السّر حتى لا يشكو إلى مخلوق مثله، والرابعة: ترك المسألة لكيلا يهرب إلى الخلق من باب الله تعالى، والخامسة: أن يعمل للهِ تعالى ولا يرى أنَّهُ يعمل شيئاً. وإضافةً إلى ذلك اشترط المواظبة على الصلاة المفروضة والابتعاد عن الحرام، ومراعاة الأدب على مقتضى آداب الخالق، والسير في منهج الحق والطريق القويم، والتقيّد بخدمة الفقراء والضيوف والغرباء والمساكين.

وكان يقول: ينال المريد من الله ببركة شيخه وبقدر ما تأدَّب لهُ، وحافظ على الحرمة، وراقب السير، وينبغي للمُريد أن يعرف لشيخهِ حَقَهُ بعد وفاتهِ كما يعرف خلال حياتهِ.*[١٨٩] وإذا ما بلغ المريد منَ العبادة والمعرفة، كان لهُ أن يكون شيخاً، وهو ما يُسمَّى الآن خليفة، الذي يجب أن يلتزم الكتاب والسنَّة، ويُلزم أتباعَهُ بهما.

من أقوالهِ: صونوا عقائدكم عن التمسّكِ بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة،

---

[١٨٩] ـ أقطاب التصوف.

نزّهوا اللهَ عن سماتِ المحدثين وصفات المخلوقين.

. عظِّموا شأن العلم تعظيماً يقوم بواجباتهِ، لأنَّهُ درك حقائق الأشياء مسموعاً ومعقولاً.

. لا تتواضع للأغنياء ولأبناء الدنيا، ولا تنهض لهم، ولا تَقرَب أبوابهم وإن دعوك، إنَّ أبناء الدنيا إن أكرمتهم أهانوك، وإن أحببتهم أبغضوك، وفي كل الأحوال يعيبوك، لم يُردْ حبك لهم بل لدنياهم ولاحتياجك لعزِّهم، فأمسك نفسك عن صحبتهم. فقد نهى رسول الله (ﷺوآلهِ) عن القرب منهم والتواضع لهم حيث يقول: لعن الله من أكرم الغني لغناه، وأهان الفقير لفقرهِ، ومن فعل ذلك فقد سُمِّي في السمواتِ عدو الله وعدو الأنبياء ولا تُستجابُ لهُ دعوة ولا تُقضى لهُ حاجة.*[190]

من مؤلفاته: البرهان المؤيَّد، وحالة أهل الحقيقة مع الله تعالى، وكتاب الحكم، والنظام الخاص لأهل الاختصاص، وتفسير سورة القدر، وغيرها.

الطرق الصوفية

****

[190] ـ صحيح البخاري .

٥- الطريقة الحلاجيّه

وهي فرقة صوفية أسَّسها الشيخ الحسين بن منصور الحلاج.*[١٩١]

دعت إلى أخوة روحية في الله، وتستهدف وحدة العالم الإسلامي، والنهوض بهِ خُلقياً وتعبدياً حتى يعود إلى منهج الصدر الأول وقوته وروحانيتهِ وإيمانهِ، أخوة روحية تنبثق منها الوحدة الكاملة في الشعور والمثل والمناهج والغايات.*[١٩٢]

تتلمذ على يدِ الحلاج العديد من شيوخ الصوفية الكبار، منهم سهل بن عبد الله التستري، وصحب عمرو المكي*[١٩٣]، و لقد أطلقوا على الحلاج عدة ألقاب، منها في بلاد الهند والصين (المغيث)، وفي بلاد الترك (المقيت)، وفي خراسان (أبي عبد الله الزاهد)، وفي خوزستان (الشيخ حلاج الأسرار)، وسمَّاه أتباعه في بغداد (المصلح)، وسمّوه في البصرة (المحير)...الخ.

آمن الحلاج بأنَّ المنهج الصوفي بكمالاتهِ في الأخلاق والعبادات والجهاد الروحي، وبمواجيدهِ وأذواقهِ ومعارفه، في الحبِّ الإلهي.

---

[١٩١] - ولد في بلدة تور في الشمال الشرقي من مدينة البيضاء في فارس عام/٢٤٤هـ /٨٥٨م نشأ بواسط بالعراق، مات مصلوباً بعد محاكمة مدّبره بعد أن قطعت يداه ورجلاه وأحرق جسده وذرَّ في الرياح،/٣٠٩هـ.من آخر ما قالهُ: ركعتان في العشق لا يصحُّ وضوؤهما إلاَّ بالدم.

[١٩٢] - الحلاج شهيد التصوف. طه عبد الباقي سرور.

[١٩٣] -هو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، عرف بأبي عبد الله عمرو المكي، صحب الجنيد والخزاز، وهو عالم بعلوم الأصول ولد عام/٢٢٣/أو/٢٢٥هـ/ توفي في بغداد عام/٢٩١ وقيل/٢٩٧/هـ.

كان يرى الحلاج أنَّ المحبةَ هي سبيل الوصول إلى معرفةِ الحق، فمعرفة الواحد الأحد لا تتأتى عن طريقِ الفهم العقلي، ذلك لأنَّ العقل البشري يَستقي معلوماتَهُ من عَالمِ الحسَّ ولا يمكنه أن يتخطى حدود هذا العالم، فقد قال في كتابهِ الطواسين فصل طاسين الفهم: إفهام الخلائق لا تتعلق بالحقيقة، والحقيقة لا تتعلق بالخليقة، الخواطر علائق، وعلائق الخلائق لاتصل إلى الحقائق.

يرى الحلاجيه أنَّ الغيب لا يتبدى إلاَّ بقدر ما يستطيع المرء أن يَفهمهُ عقلَهُ المحدود بالزمان والمكان وغيرهما من الحدود الإنسانية.

والمحبة عندهم هي حركة شوق إلى اتحاد، لتتعدى الاتحاد إلى مراقيها العليا، إلى وحدة المحب بالمحبوب فيفنى من بدو وكأنَّهما طرفان متقابلان ليبقى الواحد في الحقيقة، وهكذا فإنَّ كل ما في الإنسان من قوى حسّية وفكرية وعقلية ونفسية، لا يُوصلهُ إلى المعرفة الحق، وإنَّما يُبقيه في درك سفلي، فيلتهي بالمظاهرِ دون الحقيقة، وتعوقه هذهِ المظاهر عن الوصولِ إلى القصدِ إنْ هو توقف عندها ووثق بها وبقي في حمى الثنائية الواهمة، وعمي عن الوحدةِ الحق وحُجِبَ، يقول الحلاج في ذلك: من لاحظ الأعمال حُجِبَ عن المعمول لهُ، ومن لاحظ المعمولَ لهُ حُجِبَ عن رؤية الأعمال.*[١٩٤] وترى الحلاجيه أنَّ الذكرَ كغيرِهِ منَ العبادات حّسّي وعقلي، والحسّيات والعقليات إنَّما تخطر خطوراً أي تلوح وتحدث، وتتعرّض الحقيقة اعتراضاً، فَتُعلق هذه الخواطر علائق القلب وطلاء

[١٩٤] ـ الحلاج فيما وراء المعنى لسامي مكارم.

لحجب الحقيقة ببهرجة، والذكر وسيلة من شأنهِ أن يجعل من شوق الذاكر متلفةً للنفس الأنا، فإذا بكله يُصبح قلوباً في المحبوب واعيةً، تتسارع فيها الآلام والأسقام من فرطِ العشقِ والجوى.

والجمع في الحلاجيّة جمعان: جمع الوحدة، وهو جمع الخاصة من العارفين، وجمع بالافتراق، وهو الجمع الذي درجت عليه عامة الناس، والجمع بالوحدة فناء العارف بالمعروف فناءً تنتفي فيهِ كل أنانية فإذا العارف والمعروف واحد، وهذا الجمع لا يتأتّى إلاَّ بالحب، وبذلك لا يعود اثنان موجودين الحق وعالم الخلق، بل يبقى موجود واحد ووجود واحد وكون واحد هو ملكوت الحق.

الطرق الصوفية

قال الحلاج: من ظنَّ أنَّ الإلهية تمتزج بالبشرية، أو البشرية بالإلهية فقد كفر، فإنَّ الله تفرد بذاتهِ وصفاتهِ عن ذوات الخلق وصفاتهم، فلا يشبههم بوجه من الوجوه ولا يشبهونه بشيء من الأشياء، وكيف يُتصوَّر الشبه بين القديم والمحدَث، ومن زعم أنَّ الباري في مكان أو على مكان، أو متصل بمكان، أو يُتصوَّر على الضمير، أو يتخيل في الأوهام أو يدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك.

اشتهر الحلاج بالشطح، وكان يرى أنَّ الصوفي في سلوك الترقي ومن أقوالهِ في الشطحِ، أو ما يُعبَّر عنهُ بالفناء في الذات الإلهية بحيث يمتزج ويفقد هويَّته وأنيَّتهِ فيها، وهذا الحلول هو مرحلة من مراحل الترقي الصوفي للفناء في الذات الإلهية،

أو الاتحاد والامتزاج معها بحيث يُصبحان كُلاً واحداً الله والإنسان، وهنا ينطق الله على شفتيه، وهذا ما وصل إليه الحلاج بقولهِ:

أنتَ أنا، وأنا أنتَ. ويقول:

مزجتَ روحكَ في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسَّكَ شيءٌ مسَّني فإذا أنتَ أنا في كلِّ حال

ويقول:

خاطبني الحق من جنابي فكان علمي على لساني
قربني منه بعد بُعدٍ وخصَّني الله واصطفاني

أخبار الحلاج لابن أنجب الساعي

ـ ذُكر عن الشبلي أنَّهُ قال: أنا والحلاج في شيء واحد، فخلصني جنوني وأهلكه عقله.*[195]

التوفيق الديني في فكر الحلاج:

يقول لويس ماسينيون: تُشيرُ أعمال الحلاج، إلى أنَّهُ عالج مواضيع كلامية، وضَعَ المعتزلةُ تعاريفها، ومسائل في السياسية النظرية مثل الإمامية، وقادماً من

[195] ـ شطحات الصوفية، د عبد الرحمن بدوي.

الأوساط السنيّة، أعطى في رواياتهِ أحاديث قدسية قَبِلها الحنابلة، وتصدى من زاوية معينة لمشكلة الإسناد مُتأمِلاً أوائل السور القرآنية المكية.

يروى عن عبد الله الأزدي أنَّهُ قال: كنتُ أُخاصم يهودياً في سوق بغداد، وجرى على لفظي أن قلتُ لهُ: يا كلب. فمرَّ بيَّ الحسين بن منصور ونَظَرَ إليَّ شزرّاً وقال: لا تنبح كلبك، وذهب سريعاً. فلما فرغتُ منَ المخاصمة قصدتهُ فدخلتُ عليه فأعرض عنّي بوجههِ، فاعتذرتُ إليه فرضي، ثُمَّ قال: يا بُنيَّ الأديان كلها للهِ عزّ وجلّ، شغل بكل دين طائفة لا اختيار فيهم بل اختياراً عليهم، فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنَّهُ اختار ذلك لنفسهِ، وهذا مذهب القدرية (المعتزلة) و(القدرية مجوس هذه الأمة)كما قال ابن عباس عن رسول الله، وأعلم أنَّ اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسامٍ مُتغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف. ثُمَّ أنشد قائلاً:

تفكَّرتُ في الأديانِ جدَّاً محققّا ... فألفيتها أصلاً لهُ شُعبٌ جمّا

فلا تطلبنّ للمرءِ ديناً فإنَّهُ ... يصدُّ عن الوصل الوثيق وإنَّما

يُطالبهُ أصلٌ يُعبرّ عنده ... جميع المعالي والمعاني فيفهما

وقال وهو على جبل الرحمة في عرفات، وقد رأى الناس قد نزلت نحو المزدلفة، فضرب على صدرهِ وصاح: إلهي أُنزِّهُكَ عمَّا يفعله عبادك ليتقربوا إليك، وما يقوله موحدوك لكي يوحدوك، وأُنزِّهك عن تسابيحِ من يقول سبحانك، وتهليل

من يقول لا إله إلاَّ الله، وعمَّا يقوله فيك أولياؤك وأعداؤك جميعاً، إلهي أوقفتهم في مواقفِ العجز ثُمَّ طالبتهم بتكاليف القدرة، إلهي أنت تعلم عجزي عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عنّي فإنَّهُ الشكر لا غير.

ويرى (الديلمي)*[١٩٦] نظرية الحلاج في العشق:

قال الحسين بن منصور الحلاج: العشقُ نارُ نور أوَّل نار، وكانت في الأزل تتلون بكلِ لون، وتبدو بكل صفة، وتلتهب ذاتها بذاتها، وتشعشع صفاتها بصفاتها، متحقق لا يجوز إلاَّ جوزاً من الأزل في الآباد، ينبوعها من الهوية، متقدس عن الأنية، باطنُ ظاهرِ ذاتها حقيقة الوجود، وظاهرُ باطنِ صفاتها الصورة الكاملة بالاستتار المنبيّ عن الكلّية بالكمال، ثُمَّ أنشد في هذا المعنى شعراً:

العشقُ في أزل الآزال من قدم ... فيه بهِ منه يبدو فيه إبداء
العشقُ لا حَدَثٌ إذ كان هو صفةً ... من الصفات لمن قتلاه إحياء
صفاته منه فيه غير مُحدَثة ... ومُحْدَثُ الشيء ما مبداه أشياء
لما بدا البَدءُ أبدى عشقه صفةً ... فيما بدا فتلالا فيه لألاءُ
واللام بالألف المعطوف مؤتلفٌ ... كلاهما واحد في السبق معناه
وفي التفرق اثنان إذا اجتمعا ... بالافتراقِ هُما عبدٌ ومولاهُ
كذا الحقائق نار الشوق ملتهب ... عن الحقيقة إن باتوا وإن ناءوا

[١٩٦]- فيلسوف وصوفي تلميذ كل من أبي حيان التوحيدي وابن خفيف.

إنَّ الأعزَّاء إذا اشتاقوا أذلاّءُ ذلّوا بغير اقتدار عندما ولَهوا

لقد كان الحلاج أوّل من عرض على أرضيةٍ روحانية: (أنَّ العشق مرتبط في عين الحق بالهوّيّة والأنّية الربانيتين، أي في حقيقةِ الوجود والصورة الكاملة، ولاحظ من جهة أخرى أنَّ الاتحاد الصوفي لا يُفني شخصية الشاهد، لأنَّهُ اتحاد خارق للطبيعة بين طبيعتين لاهوت وناسوت).

ويضيف الديلمي: (انفرد الحسين بن منصور بهذا القول عن سائر المشايخ، وموضع انفرادهِ أنَّهُ أشار إلى أنَّ العشقَ صفةٌ من صفاتِ الذات على الأقل وحيث ظهر. وأمَّا غيره من المشايخ فقد أشاروا إلى إتحاد المحب والمحبوب في حالِ تناهي المحبةِ عند فناء كليّة المحب بالمحبوب من غير أن قالوا بلاهوت وناسوت). أي إنَّ انفراده كان من ناحية عينية العشق الإلهي، بقدر ما كان من ناحية الاتحاد من دون إفناءِ المحب في المحبوب. الفعل الخالق المحب يعمل.

آلام الحلاج .لويس ماسينيون

أُتي بالشبلي ومعه جماعة، وقد وضعوا منديله في عنقِهِ وهم يسحبونه إلى الحسين بن منصور الحلاّج ليلعنه، فتأبّى من ذلك وقال لهم: اتركوني. فقالوا: ما نخلّيك حتى تلعنه أو ترسل إليه رسولاً بذلك. والتفت يميناً وشمالاً، فرأى فاطمة الأموية، فقال لها: ادني منّي، فدنت منه، فقال لها: تمضين إلى الحسين بن منصور تقولين لهُ: إنَّ الله ائتمنك على سرٍّ من أسرارهِ فأذعتهُ، فأذاقك حرَّ الحديد، فإن

أجابكِ فاحفظي جوابه، ثُمَّ سليهِ عن التصوف ما هو ؟ فلما جاءت أنشأ يقول:

تجاسرتُ فكاشفتـ ـك لما غلب الصبر

وما أحسن في مثلـ ـك أن يَنهَتِك السترّ

وإن عنَّفني الناس ففي وجهك لي عِذر

كأنَّ البدر محتاجٌ إلى وجهك يا بَدرُ

ثُمَّ قال لها: امضي إلى أبي بكر وقولي لهُ: والله ما أذعتُ لهُ سِراً، فإن كان ذلك كما يقول فأحرى أن تكون محن الأنبياء عقوبة لهم، فقالت لهُ: يا سيدي ما التصوف ؟ فقال: ما أنا فيهِ، والله ما فرّقتُ بين نعمهِ وبلواه ساعةً قطّ.

آلام الحلاج .لويس ماسينيون

حُمِلَ الحلاج على جملٍ في بغداد في السادس من ربيع الأول مخفوراً، ومعه صهره وخادمه على جملٍ آخر، في حين صاح المنادي: (هذا أحد دعُاة القرامطة فاعرفوه، وطيف بهم في بغداد)، واتهم بأنَّهُ يدَّعي الربوبية، ويقول بحلول اللاهوت في أشراف من الناس.

وقد روى ابن خفيف(ولد٢٦٨هـ) أنَّهُ كُفِّر بهذين البيتين:

سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثُمَّ بدا في خلقهِ ظاهراً   في صورة الآكل الشارب

ومن أشعارهِ أيضاً:

أأنت أم أنا هذا في إلهين   حاشاك حاشاك من إثبات اثنينِ

هُوِيّة لك في لائيتي أبداً   كلي على الكل تلبيسٌ بوجهينِ

وأين وجهك مقصودٌ بناظرتي   في باطن القلب أم في ناظر العينِ

بيني وبينك أنّيٌّ يزاحمني   فارفع بأنّيكَ أنّيّي من البينِ

آلام الحلاج .لويس ماسينيون أخبار الحلاج لابن أنجب الساعي

****

٦- الطريقة الأحمدية (البدوية)

للسيد أحمد بن إبراهيم بن السيد علي البدوي، ولد بمدينة فاس في المغرب العربي سنة/٥٩٦/هـ تفقَّه على مذهبِ الشافعي، ومال إلى التصوف، رحل سنة/٦٣٣/هـ إلى العراق، ثمَّ رحل إلى مصر زمن الظاهر بيبرس سنة/٦٣٤/هـ تُوفي سنة/٦٧٥/هـ في مدينة طنطا المصرية ودُفن فيها. عُرف بالبدوي للزومهِ اللثام. أُشتُهِرَ بالعزلة والانقطاع عن الناس للعبادة والصمت. أجاد مبكراً حفظ القرآن وتجويدهِ، وأتقن تعلّم القراءات، حيثُ كان يقرأ بالقراءات السبع، واشتغل بالفقهِ على مذهب الإمام الشافعي.

. استيقظ ذات يوم ليعلن أنَّهُ رأى فيما يراه النائم، من يأمرهُ بالسفر إلى العراق، وانتهى بهِ المطاف فعلاً إلى بغداد في عام/٦٣٤/هـ وزار فيها أضرحة أولياء العراق كالجيلاني والرفاعي والحلاج وغيرهم، وأخذ من مشايخها، وعاد إلى مكة ثانية، وهناك جاءه الهاتف آمراً بالسفر إلى طنطا في مصر، ونزل عند أحد الصالحين فيها، واعتلا المنزل، فلم يُفارقه ليلاً ولا نهاراً اثنتي عشرة سنة،وعُرف ذلك المنزل بجامعة السطح لأنَّهُ كان يُعلم فيه، وأخذ يستقبل العلماء والفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمفسرين، وأسَّس طريقتَهُ هناك بعد أَنْ كَثُرَ أتباعه. رويت عنه الكثير من الكرامات والأوراد والأحزاب والصلوات والأدعية والمواعظ، وأساليب السّير ومناهج السلوك إلى الله (عَزَّوَجَلَّ). اشتُهِرَ بالبدوي، وأبا الفتيان. وقد أخذ الشيخ البدوي رايته من رسول الله (ﷺوآلهِ)، حين قدَّم لواء بني سليم

على الألوية وكان أحمر. وكان يقول: إني اخترتُ هذهِ الراية الحمراء لنفسي في حياتي ولخلفائي من بعد مماتي، وهي علامة لمن يمشي على طريقتنا من بعدي.

ترى البدوية أنَّ شروط الولاية التي يرتكزُ فكرها عليها، هي أن يكون الوليُ عارفاً باللهِ سبحانهُ، ومراعياً لأوامرِهِ، ومتمسكاً بسنَّةِ النبي (ﷺ)، ودائم الطهارة وراضياً عن اللهِ سبحانهُ، وأن ييأس مما في أيدي الناس، وأن يتحمَّلَ أذى الناس وأن يكون مبادراً لأوامرِ الله، وأن يكون شفوقاً على خلقِ الله، ومتواضعاً للناسِ، وإَضافةً إلى كل ذلك أن يكون عالماً بأنَّ الشيطان عدو...الخ.

وتركّز البدوية إضافةً إلى الولاية على الناحيةِ الأخلاقيةِ، حيثُ تحضُّ المريدين على عدمِ الكذبِ وتجنب الفواحش وغضِّ البصر عن المحارمِ وعفةِ النفس وملازمةِ الذكر ودوام الفكر.

من أقوال الشيخ البدوي: اشفقْ على اليتيم، واكسِ العريان، وأطعم الجوعان، وأكرم الغريب والضيف، عسى أن تكون عند الله من المقبولين.

. عليك بكثرة الذكر وإياك أن تكون من الغافلين عند الله، فكل ركعة بالليل خير من ألف ركعة في النهار.

الطرق الصوفية+ الفرق والمذاهب الإسلامية

٧- الطريقة الشاذلية

للسيد الزاهد الإمام علي بن عبد الله بن عبد الحميد المغربي.

والشاذلي نسبةً إلى شاذلة قرية في تونس نشأ فيها، ولد في قرية عمارة قرب مدينة سبته في المغرب الأقصى سنة/٥٩٣/هـ، اشتغل بالعلوم الشرعية مذ كان صغيراً، حتى أتقنها، وصار يناظر عليها مع كونهِ ضريراً، ثمَّ سلك منهاج التصوف، قدم إلى الإسكندرية، ومن هناك تحوَّل إلى الديار المصرية، وأظهر فيها طريقته، توفي سنة/٦٥٦/هـ.

أمَّا الأخذ عنهم في طريقتهم تتم على أربعة أقسام:

١ . أخذ المصافحة، والتلقين، والذكر، ولبس الخرقة للتبرك أو للنسبة فقط.

٢ . أخذ رواية، وهي قراءة كتبهم من غير حلٍّ لمعانيها، وقد يكون ذلك للتبرك أو للنسبة فقط.

٣ . أخذ دراية وهو حلّ كتبهم لإدراك معانيها من غير عمل بها.

٤ . أخذ تدريب وتهذيب وترقٍّ في الخدمة بالمجاهدة والمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء فيه. وهم يُعولون أكثر على الصحبة الصالحة مع الاهتداء والمحبة الصادقة، مع الاقتداء، ولكن يصحّ الانتساب بالمتابعة والمشاركة، ولو في شيء يسير، مع المحبة لهم، كتلاوة أحزابهم وأورادهم.

ترى الشاذلية أنَّ العلوم التي يُحتاج إليها فهي أربعة:

علم الذات والصفات، وعلم الفقه، وعلم التفسير والحديث، وعلم الحالات

والمنازلات، وما يجري فيها من آداب المعاملات.

أمَّا علم الذات والصفات، فيعني علم التوحيد.

وأمَّا علم الفقه، فطريق السالك فيه أن يأخذ مُسلِّماً عن أئمتِهِ المعتَبرين في وقتهِ.

وأمَّا علم الحديث فيعني الفقه لا صورة الأداء وكيفيته، ويُدعى ذلِكَ العلم بالتفسير، وهما اللذان تظهر بهما حقائق الأنوار مع العِلمَين الأوليين، لكن لمن اتسعَ نظرَهُ على حدٍّ يَفقَهَ موارد الحكم والحكمة.

وأمَّا علم الأحوال والمنازلات وما يجري فيهِما من آداب ومعاملات، وذلك هو الذي اختصَّ بهِ أهلُ هذا الشأن، وللناسِ فيهِ طريقان، طريقة رؤية من أول قدم، والعمل على ذلك بالتوجه إليه، وهو طريق الشاذلية، ومن نحا نحوهم، وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك، وهو طريق الغزالية ومن جرى مجراهم.

ويقول الشاذلي في منهاجِ الطريقة: (إذا عارضَ كشفَكَ الكتابُ والسنَّةُ، فتمسَّكَ بالكتابِ والسنَّة، ودع الكشفَ وقل لنفسِكَ إنَّ الله قد ضَمَنَ العصمةَ في الكتابِ والسنَّة، ولم يضمَنْها لي في جانبِ الكشف، ولا الإلهام ولا المشاهدة إلاَّ بعد عرضهِ على الكتاب والسنّة).*[١٩٧]

الطرق الصوفية

****

[١٩٧] ـ المدرسة الشاذلية- د ـ عبد الحليم محمود.

٨- الطريقة الغزالية

مؤسسها هو أبو حامد محمّد بن أحمد الغزالي، ولد بطوس من أعمال خرسان سنة/٤٥٠/هـ /١٠٤٨/م وتوفي فيها أيضاً سنة/٥٠٥/هـ /١١١١/م ، له مؤلفات كثيرة منها، إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وغيرها.

ترك مهنة التدريس سنة/١٠٩٥/م ، وودَّع مظاهر المجد والشهرة، وخرج من بغداد باتجاه مكة، متذرعاً بأنَّه يريد قضاء فريضة الحج لكي لا يلحّوا عليه بالبقاء في بغداد، وبينما هو في طريقِهِ إلى الحجِ لابساً لباس التصوف رآه أحد أصدقائه من المدرسين، فقال له: أهكذا يا إمام مُشيراً إلى بساطةِ ملبسه ؟ فأجابه شعراً:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلاَّ للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه دوماً لأول منزل
تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادب في الأشواق مهلاً فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلاً رفيعاً ولم أجد ... لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

. فلسفة الغزالي دينية صوفية حسب شريعة القرآن الكريم، فلا يُسلِّم بقدم العالم، ولا بالانبثاق الفلكي الذي قال فيهِ ابن سينا،*[198] نقلاً عن أفلوطين،*[199] ويقول بضرورة العلم وتحكيم العقل في الأمور العلمية، شرط أن تُنقَّى من النفوس أدران الغايات الشخصية، والجمود المذهبي.

. أمَّا علم الأخلاق الذي يُعلّم بهِ الغزالي، فمزيج من العقائد القرآنية، والفلسفة وأسرار الحقيقة، والمذهب الصوفي الذي يعتنقهُ، هو مزيج من علوم الشريعة وأسرار الحقيقة الإلهامية والرياضة النفسية.

ويقول:إنَّ المعرفة الكونية تُكتسب بواسطة الحواس والعقل، أمَّا الحكمة الإلهية فلا تُنال إلاَّ بإلقاء إلهي في القلب، لا بواسطةِ الحواس و العقل، بل بواسطة الإيمان والمجاهدة في الوصول إلى انكشاف الحقيقة.

أصناف الطالبين عند الغزالي أربعة فرق هي:

١ . المتكلمون: ويقولون أنَّهم أهل الرأي والنظر.

٢ . الباطنية: الشيعة الإسماعيلية: ويقولون: بأنَّهم أصحاب التعليم، المخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

٣ . الفلاسفة: ويزعمون أنَّهم أهل التصوّر والبرهان.

[198] ـ الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، طبيب وفيلسوف عربي، له العديد من المُؤلفات منها كتاب الشفا، ولد في بخارى عام/٩٨٢/ م توفي عام/١٠٣٧/ م في همذان.

[199] ـ فيلسوف إسكندري ولد عام/٢٠٥/ م.

٤ ـ الصوفية: ويرون أنَّهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.

ـ ويضيف قائلاً: فقلتُ في نفسي: إنَّ الحقَّ لا يعدو هذهِ الأصناف الأربعة، فهؤلاء السالكون سبيل طلب الحق، فإذا شذَّ الحقُّ عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع، والرجوع إلى التقليدِ بعد مفارقةٍ صعبٌ محال، إذْ من شرط المقلد ألاَّ يعلم أنَّهُ مقلد، فإذا عرف ذلك انكسرت زجاجة تقليدهِ، وهو شعبٌ لا يرأب....إلى أن قال: وانكشف لي في أثناء هذهِ الخلوات أمور لا يمكن إحصاءها، واستقصاءها، والقدر الذي أذكره لينتفع بهِ سواي. أنِّي علمتُ يقيناً أنَّ الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، خاصة وأنَّ سيرتهم أحسن السيِّر، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أذكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرارِ الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيِّرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليهِ سبيلاً.

روي أنَّهُ عندما مات وجد عند رأسهِ هذهِ الأبيات:

قل لإخوانٍ رأوني ميتاً	فبكوني ورثوا لحالي حزنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان بيتي وقميصي زمنا
أنا كنز وحجابي طلسم	من ترابٍ كان ضيقاً وعنا
أنا عصفور وهذا قفصي	طرتُ عنهُ وبقي مرتهنا
أحمد الله الذي خلَّصني	وبنى لي في المعالي مسكنا

كنتُ قبل اليوم ميتاً بينكم　　　فحييتُ وخلعت الكفنا

وأنا اليوم أناجي ملأً　　　وأرى الله جهاراً علنا

عاكف في اللوح أقرأ وأرى　　　كل ما كان تنأى أو دنا

الطرق الصوفية

****

٩- الطريقة المحاسبية

وهي الطريقة التي أسَّسها أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي.*[٢٠٠] عَلَمُ العارفين في زمانهِ، ولد في البصرة، وتوفيَّ في بغداد، أحد شيوخ الجنيد.

يبالغ أتباع هذه الطريقة في محاسبة أنفسهم، وسمّي المحاسبي بهذا الاسم لإفراطه في محاسبة نفسهِ ومعاقبتها.

ويرى المحاسبي في مقام التوكل مقاماً هاماً، ويدعو إليه حيث يقول: (صفة العبودية ألاَّ ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنَّك لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً).

ولا يتوقف الأمر عند محاسبة النفس، بل يتجاوز ذلك إلى الدعوة إلى الزهد ونبذ مباهج الدنيا والاجتهاد في الباطن.

حيث يقول المحاسبي: من اجتهد في باطنهِ ورَّثه الله تعالى حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته في ظاهره مع جهدِ باطنِهِ ورثَّه الله تعالى الهداية، لقوله تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٦٩)**)(العنكبوت).

ويقول عن بعض أحوال الصوفية: حسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام.

[٢٠٠] - من علماء ومشايخ البصرة، سكن بغداد وقد عاصر الإمام أحمد بن حنبل، توفي عام/٢٤٣هـ في بغداد.

ويقول أيضاً: لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر. ويقول: من صححَّ باطنه بالمراقبة والإخلاص زيَّن اللهُ ظاهره بالمجاهدة وإتباع السنَّة.

ومن أهم كتب المحاسبي: كتاب الرعاية لحقوق الله، وآداب النفوس، وبدء الإنابة.

الطرق الصوفي

****

١٠- الطريقة السهلية

وهي الطريقة التي أسسها الصوفي المعروف أبو محمّد سهل بن عبد الله التستري*[٢٠١] في القرن الثالث الهجري، الذي صحب العديد من مشايخ عصرهِ، ومن أهمهم ذي النون المصري*[٢٠٢] ورافقه لأداء فريضة الحج. وقد استمد أسس طريقتهِ من الطريقة الملامتية، التي أسَّسها الشيخ حمدون القصار،*[٢٠٣] والمسمَّاة أيضاً بالطريقة القصارية.

ترى هذه الطريقة: أنَّ الملامة وترك السلامة وقبول البلاء، وسيلة لتصفية النفس والروح لدى السالك لطريق الحق سبحانه وتعالى. ولذلك تولي أكثر اهتمامها لمجاهدة النفس والرياضة، وتقدمها على واجبات السالك الأخرى لأنَّهم يعتبرون المجاهدة شرطاً لازماً للوصول إلى الحقيقة وبلوغ مقام المشاهدة.

وترى أيضاً أنَّ أكبر أعداء الإنسان هي نفسه، والنفس العاصية هي الحجاب الأكبر بين الإنسان والحق، فوظيفة السالك إذن هي مجاهدة هذا العدو الأكبر وقتله وإماتتهُ...الخ.. ألَّف التستري العديد من الكتب من أهمها: دقائق المحبين ومواعظ العارفين، وجوابات أهل اليقين.

الطرق الصوفي

---

[٢٠١] - أحد أئمة المشايخ في عصره وعلمائهم، وأحد المتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيون الأفعال، توفي سنة /٢٨٣/ وقيل /٢٩٣/هـ.

[٢٠٢] - هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، المُلقب بذي النون، كان نوبياً وأول من تكلم في مصر في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، ولد سنة/١٥٧/هـ توفي سنة/٢٤٥/ هـ

[٢٠٣] - أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري شيخ أهل الملامة، توفي سنة/٢٧١/هـ.

١١- الطريقة الجنيدية

وهي الطريقة التي أسسها الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمّد بن الجنيد الزجَّاج. أصله من نهاوند، مولده ومنشؤه بالعراق، وقد تفقَّه على مذهبِ أبي ثور*[٢٠٤] من أصحاب الإمام الشافعي، وراوي مذهبه القديم، وكان الجنيد يفتي بحضرته وهو في العشرين من عمره، فذاعت شهرته في مختلف الأوساط العلمية ببغداد. والجنيد رحمه الله كان يُسمَّى "سيد الطائفة " وإمامهم.

صاحب خاله الصوفي المعروف السري السقطي،*[٢٠٥] والحارث المحاسبي، ومحمّد ابن القصاب. ولد سنة/٢٢١/ه تقريباً، وتوفي رحمه الله تعالى ودفن عند خالهِ وشيخهِ سري السقطي ببغداد سنة/٢٩٨/ه .

{كان والده يبيع الزجاج لذلك لقِّب بالقواريري، كان فقيهاً عالماً بالدين.

كان الجنيد رحمه الله يقيّد تصوّفه بقوله " مذهبنا هذا مُقيَّد بأصولِ الكتابِ والسنة "[٢٠٦] وكان يقول علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله (ﷺوآلهِ).

وكان كثيراً ما يُنشد:

علمُ التصوف علمٌ ليس يعرفهُ   إلاَّ أخو فطنةٍ بالحق معروفُ

---

[٢٠٤] - هو الشيخ المجتهد الإمام الفقيه: إبراهيم بن أبي اليمان أبو ثور الكلبي البغدادي مفتي العراق توفي /٢٤٠/هـ.

[٢٠٥] - هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، إمام البغداديين وشيخهم في وقته توفي في بغداد سنة/٢٥١/هـ.

[٢٠٦] - الطرق الصوفية.

وليس يعرفهُ مَنْ ليس يشهده   وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وكان يشتد نكيره على من يقول: بإسقاط الأعمال، ويعتبره أمراً عظيماً:

(والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإنَّ العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذر، إلاَّ أن يُحال بي دونها).

وكان يقول: (لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله). وتصديق ذلك قول رسول الله (ﷺوآلهِ): ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلاَّ على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز و جل فيها.*[٢٠٧] ومن أقواله: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر}.*[٢٠٨]

. وجاء أنَّ الحسين بن منصور الحلاج – في حال غلبته – ترك صحبة عمرو بن عثمان المكي، وأتى إلى الجنيد طالباً الصحبة فقال له الجنيد: أنا لا أجتمع بالمجانين، والصحبة تتطلب كمال العقل، فإذا لم يتوفر ذلك تصرفت معي كما تصرفت مع سهل بن عبد الله التستري وعمراً !! فقال له الحسين:(يا شيخ، الصحو والسكر صفتان للعبد، ومادام العبد محجوبا عن ربه نفى صفاته)،

[٢٠٧]- صحيح الجامع .

[٢٠٨]- رسائل الجنيد. وعن أطروحة لقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم في القاهرة(لموسى الزهراني/٢٠٠٤م).

فقال له الجنيد: (يا ابن منصور أخطأت في الصحو والسكر، لأنَّ الصحو بلا خلاف عبارة عن صحة حال العبد مع الحق، وذلك لا يدخل تحت صفة العبد واكتساب الخلق، وأنا أرى يا ابن منصور في كلامك فضولاً كثيراً وعبارات لا طائل تحتها).*[209]

. ذكر القشيري في الرسالة [210] أنَّ أبا بكر الكتاني قال:

جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهلٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم في حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار عينيه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا من مزيد.* [211]

وجاء عن أبي بكر العطار انَّهُ قال: حضرتُ وفاة الجنيد مع جماعةٍ من أصحابهِ، وفيهم أبو محمّد الجريري، فنظر إلى الجنيد وهو منشغلٌ بما هو فيهِ من درس القرآن والركوع والسجود، فقال لهُ: يا أبا القاسم، لو رفقت بنفسك! فقال لهُ: يا أبا محمّد، حالةٌ وصلتُ بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أُفارقها أبداً حتى

---

[209] ـ كشف المحجوب للهجويري . طبعة الأزهر . ترجمة محمود أحمد ماضي أبو العزايم .

[210] ـ الرسالة القشيرية صـ٤٢٩ بتحقيق هاني الحاج .

[211] ـ ينظر من قضايا التصوف ٥٩. الحب الإلهي الفكرة جذورها وامتدادها د٠ محمد احمد عبد القادر. ٥ .

ألحقَ بالله، ثُمَّ قال الجنيد: يا أبا محمّد لي إليك حاجة: إذا متُّ فغسلني وكفنّي وصلِّ عليَّ، قال: فبكى الجريري وبكينا، ثُمَّ قال: وحاجة أخرى: تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت. قال: فبكى الجريري بُكاءً شديداً، ثُمَّ قال: والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منَّا اثنان أبداً.*[212]

ومن أدعية الجنيد كان يدعوا بهِ:

الحمد للهِ حمداً دائماً، طيباً مباركاً موفوراً، لا انقطاع لهُ ولا زوال، ولا نفاد لهُ ولا فناء، كما ينبغي لكريم وجهك، وعزِّ جلالك، وكما أنتَ أهل الحمد في عظيم ربوبيتك، وكبريائك، ولك من كل تسبيح وتمجيد وتهليل وتحميد وتعظيم ومن كل قولٍ حسنٍ زاكٍ جميلٍ ترضاه، مثل ذالك.

اللهمَّ صلِّ على عبدك المصطفى، المنتجب المختار المبارك، سيدنا ومولانا محمّد (ﷺوآلهِ)، وعلى أشياعهِ وأتباعهِ وأنصارهِ وإخوانهِ من النبيين.

وصلِّ اللهمَّ على أهل طاعتك أجمعين، من أهل السموات والأرضين، وصلِّ على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك.

اللهمَّ صلِّ على الكروبيين، والروحانيين، والمقربين، والسيَّاحين، والحفظة، والسفرة، والحملة، وصلِّ على ملائكتك، وأهل السموات، وأهل الأرضين،

[212] ـ الإمام الجنيد سيد الطائفتين. الشيخ أحمد المزيدي.

وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلها، صلاةً ترضاها وتُحبها، وكما هم لذلك كله أهل...الخ.*[٢١٣]

ـ وجاء في أحد رسائلهِ إلى بعضِ إخوانهِ **يتكلم عن حال العلماء والمُريدين:**

إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُخلي الأرض من أوليائهِ، ولا يعريّها من أحبّائهِ، ليحفظ بهم من جعلهم سبباً لحفظهِ، ويحفظ بهم من جعلهم سبباً لكونهِ. وأنا أسألُ المنَّان، بفضلهِ وطوْلهِ أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سرِّهِ، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمرهِ، تجميلاً منهُ لنا بأعظم الرّتب، وإشرافاً بنا على كل ظاهر ومحتجب. وقد رأيتَ الله تعالى وتقدست أسماؤه زيَّن بسيط أرضهِ، وفسيح ملكهِ بأوليائهِ وأولي العلم بهِ، وجعلهم أبهج لامعٍ سطع نوره، وعَيَّنَ لقلوب العارفين ظهوره، وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها، وأنوار شمسها وقمرها.

أولئك أعلامٌ لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعتهِ، ومنار نورٍ على مدارج السَّاعين إلى موافقتهِ، وهم أبين في منافع الخليقة أثراً، وأوضح في دفاع المضّار عن البرية خبراً، من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يُهتدى، وبآثارها عند مقتبس المسالك يُقتدى، لأنَّ النجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان.*[٢١٤]

ـ وجاء في رسالةٍ أخرى **يحضَّهم على العملِ بالأقوال:**

[٢١٣] ـ الإمام الجنيد سيد الطائفتين. الشيخ أحمد المزيدي.

[٢١٤] ـ الإمام الجنيد سيد الطائفتين. الشيخ أحمد المزيدي.

اعلم رضي الله عنك أنَّ أقرب ما استُدعي بهِ قلوب المريدين، ونُبِّهِ بهِ قلوب الغافلين، وزجرت عنه نفوس المتخلّفين، ما صدَّقتهُ من الأقوال جميع ما اتبع بهِ من الأفعال. فهل يُحسن يا أخي أن يدعو داعٍ إلى أمرٍ لا يكون عليهِ شعاره، ولا تظهر منه زينته وآثاره، وألاَّ يكون قائلهُ عاملاً فيهِ بالتحقيق، وبكل فعل بذلك القول يليق؟! وأفِكَ من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين، وأَمَرَ بالتَّرك وكان من الآخذين، وأَمَرَ بالجدِّ في العملِ وكان من المقصِّرين، وحثَّ على الجهاد ولم يكن من المجتهدين! ألا قلَّ قبول المستمعين لقيلهِ، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعلهِ، وكان حجة لمن جعل التأويل سبباً إلى إتباع هواه، ومسهلاً لسبيل من آثر آخرته على دنياه ؟ أَما سمعتَ الله تعالى يقول، وقد وصف نبيهِ شعيباً، وهو شيخ الأنبياء، وعظيمٌ من عظماءِ الرسل والأولياء، وهو قوله: ((**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**(٨٨))(هود). وقول الله جلَّ ذكرهِ لمحمّد المصطفى (ﷺوآلهِ): ((**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**(٤٧))(سبأ). وأَمَرَ بالدعاءِ إليهِ، بقولهِ (ﷻ): ((**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**(١٢٥))(النحل). فهذهِ سيرة الأنبياء والرسل والأولياء.*[٢١٥]

ومن أهم كتبهِ: كتاب القصد إلى الله، السر في أنفاس الصوفية، دواء الأرواح، دواء التفريط، أدب المفتقر إلى الله، الفرق بين الإخلاص والصدق، الفناء،

[٢١٥] ـ الإمام الجنيد سيد الطائفتين. الشيخ أحمد المزيدي.

الميثاق، والعشرات من الرسائل في الألوهية والتوحيد والمعرفة والإيمان وغيرها.*[٢١٦]

الطرق الصوفية، رسائل الجنيد، الإمام الجنيد سيّد الطائفتين

****

[٢١٦] - رسائل الجنيد. د. جمال سيدبي.

١٢- الطريقة البسطامية (الطيفورية)

مؤسسها أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شرشون وكان جده هذا مجوسياً فأسلم، وهو من أهل بسطام لذلك سمِّي بالبسطامي، توفي سنة/٢٦١/هـ.

وقد عبَّر البسطامي وأتباعه عن طريقتهم من خلال شطحات صوفية مسرفة في الرمز والألغاز، وتبدو في ظاهرها مُستشنعة، مُنافية لتعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولكنَّها في حقيقتها تعبير روحي عن ذوق باطني ووجد قلبي.

وقد أثارت هذه الشطحات عِداء الفقهاء من أهل الظاهر في عصرِهِ ضدَّه وضدَّ أتباعه، حتى اتهمَّهم البعض بالكفر والزندقة، ولكن ومن أجل وضع الأمور في نصابها، ولكي لا نظلم أبا يزيد لا بُدَّ أن نقول: إنَّ كتب التاريخ أكدت أنَّ البسطامي وأتباعه كانوا متمسكين بآداب الشريعة، محافظين على أدائِها.

كما يتبين من قول البسطامي نفسه: (لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة).(طبقات الأولياء).

. يتلخص مذهب البسطامي في التصوف في السكر، وهو يخالف مذهب الجنيد البغدادي، الذي يعتنق وأصحابه مذهب الصحو مخالفة تامة، وبناء على رواية الهجويري فإنَّ الجنيد يقول: إنَّ السكر هو محل للآفة لأنَّهُ مشوِّش للأحوال،

مزيل للصحة، مضيِّع لزمامِ النفس، ولأنّ ّ ّ ّ ّ قاعدة المعاني كلها هي الطلب، فإنَّهُ يكون إمَّا بحسب فنائهِ، وإمَّا بحسب بقائهِ، وإمَّا بحسب محوهِ، وإمَّا بحسب إثباتهِ، وإذا لم يكن صحيح الحال لم تَحل له فائدة التحقيق، وفي هذا الصدد يقول رسول الله (ﷺوآلهِ):

اللهمَّ أَرنا الأشياء كما هي.*[٢١٧]وهذه الجملة لا تتحقق إلاَّ في حالة الصحو، وأهل السكر ليست لهم أي معرفة بهذا المعنى.(الطرق الصوفية).

. قيل لأبي القاسم الجنيد: إنَّ أبا يزيد يُسرف في الكلام !

فقال: وما بلغكم عن إسرافهِ في كلامهِ ؟

قيل يقول: (سبحاني سبحاني ما أعظم شأني) !

فقال الجنيد: إنَّ الرجُلَ مُستهلكٌ في شهودِ الإجلال، فنطق بما استهلكهُ لذهولهِ في الحقِ عن رؤيتهِ إيَّاهُ، فلم يشهد إلاَّ الحقَّ تعالى فنعتَهُ، فنطقَ بهِ ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنَّاً من الحقِّ بهِ، أَلم تسمعوا مجنون بني عامر لما سُئِلَ عن اسم نفسهِ ؟

فقال: ليلى! فنطق بنفسهِ ولم يكن من شهودهِ إيَّاهُ فيهِ، وقيل لهَ: مَنْ أنتَ؟

قال: أنا من ليلى ، ومن ليلى أنا!!*[٢١٨]

---

[٢١٧] ـ صحيح البخاري.

[٢١٨] ـ شطحات الصوفية، د عبد الرحمن بدوي.

ـ عن حلية الأولياء: اشتهر رجلٌ بالولاية. فقال أبو يزيد لبعض إخوانهِ: قُمْ بنا إليهِ، فدخل الرجلُ المسجد وبصق تجاه القبلة!! فرجع أبو يزيد وقال لصاحبهِ: امضِّ بنا، فهذا غير مأمون على أدبٍ من آداب الشريعة!! فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيهِ من الولاية ؟؟(شطحات الصوفية).

الطرق الصوفية

****

١٣- الطريقة المولوية

للشاعر الصوفي الكبير المولى جلال الدين محمّد بن محمّد بن الحسين الملقب بالرومي، ولد في بلخ شمال أفغانستان سنة/٦٠٤/هـ وهاجر إلى العراق، ورحل بعدها إلى الشام، ثمَّ رحل بعدها إلى بلاد الروم(تركيا حالياً) وسكن قونية، وتتلمذ هناك على يد شيخهِ العارف بالله شمس الدين التبريزي، كان ينظم بالفارسية والتركية والعربية، توفي في قونية ودفن فيها سنة/٦٧٢/هـ الموافق لـ/١٢٧٣/م ، وعرف أتباعه بالدراويش الراقصين، لهُ كتاب المثنوي، وديوان شعر صوفي كبير، يُعدّ من أشهر دواوين التصوف والأخلاق والقصص والعِبَر والحكم في الإسلام. واشتهر بابن الرومي. ومن بعض أشعارهِ :

إذا كنت لا تعرف العشق، فسأَلِ الليالي...اسأَل الوجه الشاحب وجفاف الشفاه

فمثلما يحكي الماء عن النجوم والقمر............تحكي القوالب عن العقل والروح

ومن العشق يتعلم الروح ألف نوع من الأدب...

ذلك الأدب الذي لا يمكن الحصول عليهِ في المدارس...

وبين مائة شخص يظهر العاشقُ وضّاءً....كالقمر اللألاء في السماء بين الكواكب*[٢١٩]

الطرق الصوفية+ الفرق والمذاهب الإسلامية

****

[٢١٩] - ديوان يد العشق لأبن الرومي.

١٤. الطريقة البكتاشية

وهي الطريقة التركية التي أسسَّها الشيخ محمّد بن إبراهيم أتا (الشهير بالحاج بكتاش)، المتوفى عام/١٣٣٦م. وهي خليطٌ من الطرق الصوفية التي تتقدمها، مثل القلندرية واليسوية والحيدرية. ولقد وضع بكتاش كتاباً اسمه (مقالات). ويقول الشيخ أحمد سري شيخ مشايخ الطريقة: أنَّ هذهِ طريقة أهل البيت الطاهر(عليهم السلام) وقد انحدرت أصولها من سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وعن أولاده وأحفادهِ إلى أن وصلت على مشايخنا الكرام. ومن أشهر شعرائهم الشاعر (يونس امره)، وكانت له تكية في جبل الجيوشي في القاهرة، يرقد بها جثمان الشيخ عبد الله المغاوري، وهو أحد أقطابها وشعرائها.

تراتبية الطريقة: قسَّم أصحاب البكتاشية المنتسبين إليها على درجات هي:

١. العاشق.

٢. الطالب.

٣. المحب.

٤. الدرويش.

٥. الباب: هي درجة المشيخة، ولا يصل إليها الدرويش إلاَّ بعد مدة طويلة.

٦. الدده: وهو الخليفة ولا يمنح هذهِ المرتبة إلاَّ شيخ مشايخ الطريقة.

٧. الدده بابا: وهو شيخ المشايخ، وينتخب من الخلفاء، وهو المدير العام لشؤون الطريقة وأتباعها في العالم.

التكية البكتاشية: هي عبارة عن ضيعة كبيرة، فيها قصر كبير يقيم فيه شيخها، وفيها قبور تضم رفات مشايخ الطريقة، والمؤثرين في انتشارها بين الناس، ويقيم فيها الدراويش المنقطعين لعبادة الله، ومستلزماتهم.

العهد عند البكتاشية:

لقبول المريد نظام خاص، منها يقرأ الشيخ على الطالب آية البيعة (إنَّ الذين يبايعونك..) بعد ذلك يقول الطالب أبياتاً من الشعر يعلن بها دخول الطريقة: وبالحب أسلمت الحشا خادماً لآل العباس*[٢٢٠] وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأولياء.

ولزيارة التكية آداب على المريد الالتزام بها، منها الغسل، وحمل هدية، وزيارة القبر الموجود فيها، ولا يزوره إلاَّ بصحبة الدرويش المختص.....الخ.

الطرق الصوفية

****

[٢٢٠] ـ علق المؤلف وقال: إنَّ المقصود بآل العباس: هم علي وفاطمة والحسن والحسين والعباس.

١٥. الطريقة التيجانية

أسسَّها الشيخ أبو العباس بن أحمد التيجاني، ولد في قرية عين ماضي في جنوب الجزائر (١٧٣٧م) وتوفي (١٨١٥م) سافر إلى فاس في المغرب للبحث عن شيوخ الصوفية فيها، وهناك درس، أسَّس التصوف وانضم إلى ثلاثة طرق منها قبل أن يعود إلى الجزائر، وهي: القادرية، والناصرية، وطريقة الحبيب الوانجيلي.

سافر لأداء فريضة الحج، وتوقف أثناء العودة في القاهرة، ورجع إلى فاس ينشر دعوته هناك حيث وافته المنية فيها، انتشرت التيجانية في إفريقيا السوداء، وفي المغرب العربي، وفي وادي النيل، وفي شرق إفريقيا، وفي المشرق العربي، ومن عوامل انتشارها: الكم الهائل من الكتب التي تناولت بالشرح والتحليل كل ما يتعلق بالطريقة، منها: (جواهر المعاني، ورماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، والإفادة الأحمدية، وبغية المستفيد في شرح منية المريد، وميزان الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية، وغيرها).

عندهم ورد، يُعد طريق المريد للوصول بشيخهِ وبالله:

منه ذكر لا إله إلاَّ الله والاستغفار، والصلاة على النبي، وجوهرة الكمال، وهي صلاة خاصة بالطريقة التيجانية، وتدخل في أوراد الأسرار، وهي لا تُذكر إلاَّ

بطهارة مائية، (اللهم صلِّ على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز المفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة، الآدمي صاحب الحق الرباني..الخ) ومن لم يجد يستبدلها بصلاة الفاتح، وهي أيضاً صلاة تدخل في صلب الورد الأساسي للطريقة التيجانية (اللهم صلِّ على سيدنا محمّد، الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، الناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آلهِ حقَّ قدرهِ ومقداره العظيم..).

الطرق الصوفية

****

١٦. الطريقة السنوسية

أسسَّها الشيخ محمّد بن علي السنوسي في قرية الواسطة، قرب مدينة مستغانم في غرب الجزائر ولد عام (١٧٨٧م)(ت١٨٥٩م) ويدعى بالسيد السنوسي لانتسابه إلى البيت النبوي الشريف. درس الفقه المالكي، وأسَّس طريقته بعدها.وفي ليبيا نقل نشاطه إلى واحة مصرية قريبة من الحدود الليبية حيث ازداد عدد الزوايا، تأثرت السنوسية بالطريقة الشاذلية، وبالطريقتين القادرية والناصرية، لكنَّها حافظت على شخصيتها المستقلة.

تراتبيتها: ١. شيخ الطريقة: وهو الرئيس الأعلى.

٢. مجلس الخواص.٣. شيوخ الزوايا.٤. الأخوان.

انتشرت في شمال إفريقيا، وفي غرب الجزيرة العربية.

الطرق الصوفية

****

١٧. الطريقة المهدية

أسَّسها الشيخ محمّد أحمد المهدي بن عبد الله (١٢٦٠-١٣٠٢هـ)(١٨٤٥-١٨٨٥م)، ولد في جزيرة لبب جنوب مدينة دنقلة السودانية.

- تحرّم المهدية الاحتفال بالأعراس والختان احتفالاً يدعو إلى النفقة والإسراف.

- تيسّر الزواج بتخفيف المهور وغيره.

- تمنع البكاء على الأموات، وتحرّم الاشتغال بالرقى والتمائم.

- تقيم حدود الشريعة كالقصاص وغيره.

- جعل المهدي المتهاون في الصلاة كالتارك لها، جزاءه أَنْ يُقتل حدّاً.

- تأثر بفكرة المهدي المنتظر، وفي فكرة الإمام المعصوم، وأخذ عن الوهابية قولهم الأخذ عن كتاب الله والسنَّة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد، وحارب بناء القبور!!

****

١٨. الطريقة النورسية

أسسَّها الشيخ سعيد النورسي (١٨٧٣ ـ ١٩٦٠م) ولد في قرية نورس شرقي الأناضول. يعتبرون السياسة من وساوس الشيطان، ويرتكزون على كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺوآلهِ) نبراساً لهم.

الطرق الصوفية

ومن الطرق الصوفية الأخرى:

١٩- **المريدية:** أسسَّها الشيخ أحمد يمبا. انتشرت في غرب إفريقيا، وهي طريقة فرعية من الطريقة القادرية. تأسست عام (١٨٨٦م). منتشرة بكثرة في السنغال.

٢٠- **الحمالية:** أسسَّها الشيخ حمى الله (١٨٨٣-١٩٤٣م). وهي طريقة اشتقت عن التيجانية. انتشرت في إفريقيا الوسطى.

٢١- **الفاضلية** ٢٢- **العينية** ٢٣- **المجذوبية** ٢٤- **السمانية**

٢٥- الميرغنية ٢٦- **الدرقاوية**. وغيرها الكثير من الفرق الصوفية.

الطرق الصوفية

****

الخاتمة

بعد أَنْ اطَّلعنا على بعض أسرارِ الطُرُقِ الصوفية، وجدنا الشبه الكبير بين تلك الطرق، من جهاتٍ متعددة. منها:

- من حيث طريقة آداب المريدين، وتربيتهم وتهذيبهم.
- من حيث طريقة وصول المريدين إلى الأسرار.
- علاقة المريدين بشيوخهم وإخوانهم ومُحيطهم.
- مهمة الشيوخ والمعلمين مع المريدين، وفي المجتمع.
- لزوم إتباع كل إنسان لطريقة، حتى يكون على هُدىً من دينِهِ.
- الحض على كتاب الله وشريعة رسول الله (ﷺوآلهِ).
- الحض على العلم والعمل.
- منزلة (الإمام أو القطب أو الغوث) مؤسس الطريقة، أو رئيسها الديني.
- التأويل لكتاب الله، ولأقوال رسول الله (ﷺوآلهِ).
- القول في مسائل الأصول. كالأسماء، والصفات، والجسم، والعرض، والجزء، والعرش، والرؤية وغيرها. فبغض النظر عن مذهبِ الشيخ وانتمائهِ، فقد تكون طريقتُهُ متشابهة إذا لم نقل متطابقة مع طريقةٍ أُخرى، لمذهبٍ أو تيارٍ آخر.

وهاهي الطريقة الجنبلانية(الخصيبية)(طريقة السيد الخصيبي (رضي الله عنه))، حسب ما اطَّلعنا عليه منها، هي من أعرق الطرق الصوفية وأقدمها، عِلماً أنَّ الباحثين قالوا: إنَّ الطريقة القادرية هي أقدم الطرق، لكنَّها بعد الطريقة الجنبلانية(الخصيبية).

فقد تَكلمتْ عن أصولِ الدين، وعن الإيمان، وعن فروعِ الدين، وعن العلاقات الاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

إذاً ليست كل تلك الطرق الصوفية إلاَّ روافد حقيقية لتنوع مجتمعنا، تُزيدُ رونق الثقافة الإسلامية، والفكر الديني انفتاحاً ونهضةً، وتُدخل عليهِ بعضً من روائع المفكرين والمصلحين الآخرين، من جميع الديانات والفلسفات العالمية.

فهذا التنوّع في حديقةِ الفكر الديني والاجتماعي يُعطيها إثراءً قَلَّ نظيرهُ في المجتمعات الأخرى، فلنستفد من هذا الأمر ونطوّره لخدمةِ مجتمعنا وشعوبنا وأمّتنا إلى غدٍ أفضل ومستقبل أحسن.

نَصبُّ جميعاً في بحرِ الإسلام، كما ننهلُ منه، بدوٌ منهُ، وعودٌ إليه.

ملاحظة: يتبع علم الكلام وطريقة الخصيبي في الجزء القادم.

أخـوكـم فـي الله

محمود سليمان رمضان

طرطوس قرية الثورة

مصادر الكتاب

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة.   عدة شروح منها شرح ابن أبي الحديد.

٣- الهداية الكبرى.   السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

٤- الهداية الكبرى./ قسم الأبواب/. السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي. تحقيق حيدر عبد الكريم.

٥- ديوان السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي. تحقيق.س. حبيب.

٦- المكزون بين الأمارة والشعر والتصوف والفلسفة. حامد حسن.

٧- معرفة الله والمكزون السنجاري. د. أسعد علي.

٨- المغمورون القدامى في جبال اللاذقية. علي عباس حرفوش.

٩- منابع العرفان. حسن يونس حسن.(السورية للدراسات والنشر حمص).

١٠- تحف العقول.   الشيخ أبو محمّد الحسن بن علي شعبة الحرَّاني.

١١- النبأ اليقين عن العلويين.   الشيخ محمود الصالح./ الطبعة الثانية/.

١٢- كتاب سُليم بن قيس الهلالي. تحقيق محمّد باقر الأنصاري الزنجاني.

١٣- العلويون هم أتباع أهل البيت(عليهم السلام). الشيخ محمّد البادياني النيسابوري

١٤- المسلمون العلويون من هم وأين هم. الأستاذ منير الشريف- مؤسسة البلاغ.

١٥- المعجم الفلسفي. الدكتور جميل صليبا.

١٦- المعجم الصوفي. الدكتور محمود عبد الرزاق.

١٧- معجم مصطلحات الصوفية. الدكتور عبد المنعم الجفني.

١٨- لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام. للشيخ عبد الرزاق القاشاني.

١٩- التعريفات. علي بن محمّد الجرجاني.

٢٠- شطحات الصوفية. الدكتور عبد الرحمن بدوي.

٢١- طبقات الصوفية. الإمام أبي عبد الرحمن السلمي.

٢٢- الرسالة القشيرية. الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري.

٢٣- الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية. الدكتور محمّد تقي الدين الهلالي/انترنت/.

٢٤- الصوفية. محمّد العبده+طارق عبد الحليم/انترنت

٢٥- التصوف المنشأ والمصادر.إحسان إلهي ظهير/ إدارة ترجمان السُّنة لاهور باكستان/انترنت.

٢٦- الطريق الصوفي. يوسف زيدان/دار الجيل/بيروت.

٢٧- الطريقة النقشبندية. عبد الرحمن محمّد سعيد دمشقية/موقع الفرقان/انترنت.

٢٨- الطرق الصوفية. ممدوح الزوبي/الأهالي/دمشق.

٢٩- آلام الحلاج.   لويس ماسينيون.

٣٠- أخبار الحلاج.   علي بن أنجب الساعدي.

٣١- الحلاج بين التصوف والفلسفة. عبد الحميد ديوان.

٣٢- الإمام الجنيد سيد الطائفتين. الشيخ أحمد فريد المزيدي(دار الكتب العلمية).

٣٣- رسائل الجنيد. تحقيق الدكتور جمال رجب سيدبي (دار اقرأ).

٣٤- إخوان الصفا والتوحيد العلوي. محمّد عبد الحميد الحمد.

٣٥- الفرق بين الفرق.   عبد القادر البغدادي.

٣٦- مذاهب الإسلاميين.   الدكتور عبد الرحمن بدوي.

٣٧- الفرق والمذاهب الإسلامية.   سعد رستم.

٣٨- مقالات الإسلاميين.   أبو الحسن الأشعري.

٣٩- الملل والنحل.   أبي الفتح محمّد عبد الكريم الشهرستاني.

٤٠- مقدمة ابن خلدون.   عبد الرحمن محمّد بن خلدون.

٤١- المنجد في الأعلام.   لويس معلوف.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الدكتور يوسف حامد عيسى	٣
تمهيد	٩
من هو الخصيبي	١١
وفاة الخصيبي	٢١
من شعر الخصيبي، وتخبيره عن نفسه	٢٢
الطرق الصوفية، وتعريف التصوف	٢٧
الطريقة الصوفية	٣٠
شيخ الصوفية	٣٤
مهام الشيخ	٣٦
المريد	٣٨
آداب المريد	٣٩
مفارقة الشيخ	٤٤
السَّماع	٤٥
مراتب الصوفية	٤٦
الولاية والعصمة	٤٩

الطريقة الخصيبية	٥٣
الطريقة القادرية	٨٣
الطريقة النقشبندية	٩١
الطريقة الرفاعية	١٠٩
الطريقة الحلاجية	١١٢
الطريقة الأحمدية(البدوية)	١٢١
الطريقة الشاذلية	١٢٣
الطريقة الغزالية	١٢٥
الطريقة المحاسبية	١٢٩
الطريقة السهلية	١٣١
الطريقة الجنيدية	١٣٢
الطريقة البسطامية	١٣٩
الطريقة المولوية	١٤٢
الطريقة البكتاشية	١٤٣
الطريقة التيجانية	١٤٥
الطريقة السنوسية	١٤٧
الطريقة المهدية	١٤٨

الطريقة النورسية و بعض الطرق الأخرى ١٤٩

الخاتمة ١٥٠

مصادر الكتاب ١٥٢

الفهرس ١٥٥

صدر للمؤلف عن دار أعراف للنشر

١- مختصر الواجبات في السنن والمفترضات. ط٥/٢٠١٣م.

٢- إيضاح البيان مناظرة. ط٢/٢٠١٠م.

٣- القول السليم في نجاة كافل اليتيم (أبو طالب دراسة وتحليل).ط٢/٢٠٠١م.

٤- الخصيبي والغلاة من الشيعة. ط٢/٢٠٠٩م.

٥- صلة الرحم والعقوق. ط٢/٢٠٠٩م.

٦- الشيطان حقيقة أم وهم بين المادة والروح./٢٠٠٩م.

٧- الرحمن بين الإطلاق والتقييد./٢٠١٠م.

٨- التصوف وطريقة السيد أبي عبد الله الخصيبي./٢٠١٢م.

٩- علم الكلّام وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي./٢٠١٣م.

١٠- الصلاة عند السيد الخصيبي والعرفاء بين الشريعة والعرفان. /٢٠١٣م.

١١- الشهداء. /٢٠١٣م.